ذاكرة فلسطين

شيءٌ عابر...

نابلس تحت الاحتلال
(حزيران/يونيو 1967 - آذار/مارس 1969)
مذكرات ووثائق حمدي طاهر كنعان

دراسة وتحقيق: **بلال محمد شلش**

تقديم: **طاهر حمدي كنعان**

شيءٌ عابر...

نابلس تحت الاحتلال

(حزيران/يونيو 1967 - آذار/مارس 1969)

مذكرات ووثائق حمدي طاهر كنعان

شيءٌ عابر...

نابلس تحت الاحتلال

(حزيران/يونيو 1967 - آذار/مارس 1969)

مذكرات ووثائق حمدي طاهر كنعان

دراسة وتحقيق

بلال محمد شلش

تقديم

طاهر حمدي كنعان

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

كنعان، حمدي طاهر، 1909-1978

شيئ عابر...: نابلس تحت الاحتلال (حزيران/ يونيو 1967 - آذار/ مارس 1969): مذكرات ووثائق حمدي طاهر كنعان/ دراسة وتحقيق بلال محمد شلش؛ تقديم طاهر حمدي كنعان.

696 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ذاكرة فلسطين)

يشتمل على ببليوغرافية (ص. 637-665) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-553-1

1. كنعان، حمدي طاهر، 1909-1978 - مذكرات. 2. منظمة التحرير الفلسطينية. 3. السياسيون الفلسطينيون. 4. القضية الفلسطينية. 5. النزاع العربي الإسرائيلي. 6. فلسطين - تاريخ - الاحتلال الإسرائيلي، 1948. 7. نابلس (فلسطين) - تاريخ. 8. رجال الدولة - فلسطين. أ. شلش، بلال محمد (محقق). ب. كنعان، طاهر حمدي (مقدم). ج. العنوان. د. السلسلة.

956.94054

العنوان بالإنكليزية

An Ephemeral Event, Nablus under Occupation (June 1967/March 1968): Memoir and Documents of Hamdi Taher Kanaan

Study and Verification by Bilal Mohammad Shalash
Introduction by Taher Hamdi Kanaan

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 40356888 00974
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
آب/ أغسطس 2023

لستُ عرّافًا،
ولا أفتح في الرمل،
ولا أقرأ النجوم
إنما أعرف أن الظلم
شيءٌ عابرٌ،
ليس يدوم[1]

***

سألوني عن الغُزاةِ فجاوبتُ:
رياحٌ هَبَّت ونحن ثبيرُ
سألوني عن الغُزاةِ فجاوبتُ:
رمالٌ تُسفَى ونحن الصخورُ
سألوني عن الغُزاةِ فجاوبتُ:
ليالٍ تمضي ونحن الدهورُ![2]

(1) توفيق زياد، "قصائد"، **الاتحاد**، 23/ 2/ 1968، ص 4.
(2) بدوي الجبل، **ديوان بدوي الجبل** (بيروت: دار العودة، 1978)، ص 194–195.

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال والخرائط والصور 11

عِرفان 15

تقديم ..... طاهر حمدي كنعان 17

مدخل: حمدي كنعان رئيسًا لبلدية نابلس، مقاومة وصمود الإنسان والمدينة 29

أولًا: مشاهد متغايرة 32

ثانيًا: سيرة أولى 39

1. بواكير 39

2. من الاقتصاد إلى المجال العام 71

3. كنعان رئيسًا للمجلس البلدي 88

ماذا بعد؟ 95

القسم الأول
التحقيق

الفصل الأول: المذكرات 103

الإهداء 103

مقدمة 105

الهزيمة: شهور الصدمة؛ حزيران/ يونيو – آب/ أغسطس 1967 106

الحرب: الأيام الأولى 110
ما قبل الجسور المفتوحة 127
قلقيلية: تهجير وعودة 132
نسف أول منزل 133
حاكم عسكري جديد 135
في عمّان: بوادر الجسور المفتوحة 144
تجميد رسالة 149
نسف جديد في جنيد 153
الطلبة الجزائريون 153
الحاكم عوفر 155
أوان المواجهة (أيلول/ سبتمبر 1967) 162
إضرابات المدارس: رؤية سلطة الاحتلال 162
السعي إلى كسر نابلس 179
إضراب 19 أيلول/ سبتمبر 1967 179
مسار دايان/ عوفر؛ رؤية سلطة الاحتلال 183
اجتماع مع دايان 196
المواجهة: بين مد وجزر 203
كلمة تأبين 217
سنوية الاحتلال الأولى 222
اعتقال عبلة طه ورفيقاتها 230
تفجير تل أبيب 235
اعتقال زليخة الشهابي 238

الطريق إلى الاستقالة: كفى لنسف المنازل 239
لقاء دايان مع فدوى طوقان 252
إضرابات الطلبة من جديد 254
إبعاد نديم الزرو 259
مذكرة أمستردام 261
السجن الصغير/ السجن الكبير 265
دايان المريض 269
شادية أبو غزالة 270
زيارة "سكرانتون" مبعوث "نكسون" 272
اجتماعات ساسون 276
ما عدت أطيق صبرًا 280
في عمّان وبيروت 280
انتهاك مدرسة العائشية 284
فتح جسور وقطع أخرى 289
مذكرة جديدة 296
قطع الجسور 297
النهاية 309
الفصل الثاني: من أوراق كنعان 321
أولًا: بين الحرب والاستقالة: مراسلات، مذكرات، محاضر 321
ثانيًا: ما بعد أيلول/ سبتمبر 1970: تجديد القيادة الفلسطينية 395
الفصل الثالث: أوراق من الأراشيف 401
أولًا: وثائق من الأراشيف المحلية 404

ثانيًا: وثائق من الأراشيف الصهيونية 416
ملاحق القسم الأول 437

القسم الثاني
دراسات في الحاضر الغائب عن العمران والحرب والصراعات الأخيرة

مدخل 451
الفصل الرابع: كنعان في رئاسة البلدية (1963–1967) 455
أولًا: المساكن الشعبية 499
ثانيًا: الطريق إلى الماء 511
ثالثًا: هكذا انتهى وابتدأ كل شيء 526
الفصل الخامس: احتلال الجبل: نابلس أيام حزيران/ يونيو 1967 529
أولًا: قبل حزيران/ يونيو، مزايدة! 529
ثانيًا: نيران من المقبرة الشرقية 570
الفصل السادس: صراعات التمثيل 585
خاتمة: القريب الآتي 633
المراجع 637
فهرس عام 667

قائمة الجداول والأشكال والخرائط والصور

الجداول

(1-1): أوراق كنعان المنشورة في متن المذكرات 319
(1-2): أوراق كنعان المنشورة في الفصل الثاني 321
(1-3): الأوراق المستلة من الأراشيف المنشورة في الفصل الثالث 401
(4-1): موازنة بلدية نابلس بين عامي 1963 و1968 470
(4-2): موازنة بلدية نابلس بين عامي 1964 و1968 471

الأشكال

(4-1): موازنات بلدية نابلس بين عامي 1963 و1968 470
(4-2): موازنة بلدية نابلس مقارنة بموازنات
البلديات الرئيسة في بقية فلسطين 472

الخرائط

(مدخل 1-1): وسط فلسطين (لواء السامرة، جزء من لواء القدس، جزء من لواء اللد) خلال المرحلة الاستعمارية البريطانية لفلسطين 62
(مدخل 1-2): مقطع قضاء نابلس (المدينة وريفها، التقسيمات الإدارية، خطوط المواصلات) خلال المرحلة الاستعمارية البريطانية لفلسطين 63
(مدخل 1-3): تشتت فلسطين بعد حرب 1947-1949،
وحدود بقية وسط فلسطين وجنوبها 65
(مدخل 1-4): الموقع الجغرافي لمدينة نابلس 73

الصور

(مدخل 1-1): مشهد عام لنابلس بعيون غزاتها، ويظهر في خلفية الجبل الشمالي (جبل عيبال) 30

(مدخل 1-2): حمدي كنعان وزملاؤه طلاب الصف الاستعدادي الخامس في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس في عام 1926/ 1927 44

(مدخل 1-3): دروزة في ضيافة كنعان في منتزه العائلات في نابلس 49

(مدخل 1-4): صورة جوية لنابلس من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي 57

(مدخل 1-5): عام التحولات (1956) 80

(مدخل 1-6): إعلان تجاري عن حمدي كنعان 81

(مدخل 1-7): سليمان النابلسي في نابلس 83

(مدخل 1-8): علامة كنعان التجارية، وإعلان لصابون حمدي كنعان 86

(مدخل 1-9): كنعان وصابون نابلس 87

(مدخل 1-10): بيان كتلة كنعان الانتخابية لأهالي نابلس 94

(1-1): كنعان على أكتاف النابلسيين الرافضين لاستقالته 101

(1-2): أهالي نابلس يستقبلون دبابات اللواء 37 من قوات الاحتلال عند مدخل المدينة الشرقي، ظنًّا منهم أنها دبابات عراقية 112

(1-3): أسرى المواجهة الأولى في شارع فيصل 113

(1-4): حمدي كنعان لحظة احتلال المدينة 116

(1-5): ساحة المقاطعة يوم الاحتلال 118

(1-6): انتشار قوات الاحتلال أمام بلدية نابلس 121

(1-7): المحتلون يتجولون في نابلس 136

(1-8): مبنى مستشفى الاتحاد النسائي بعد تهيئته وتجهيزه 143

(1-9): كنعان في زيارة تفقدية لمنزل الطلبة الجزائريين 154

(1-10): مظاهرة نساء نابلس في 24 آب/ أغسطس 1968 233
(1-11): اليافطات المرفوعة في مظاهرة نساء نابلس
في 24 آب/ أغسطس 1968 233
(1-12): لحظة الاعتداء على غسان عبد اللطيف كمال
قبل اعتقاله إثر عملية تل أبيب 236
(1-13): احتجاج أهالي نابلس على استقالة كنعان 246
(1-14): تضامن أهالي نابلس مع كنعان 247
(1-15): احتجاجات أهالي نابلس ضد الاحتلال 255
(1-16): طلبة نابلس يستعدون للتظاهر أمام مدارسهم 258
(1-17): كنعان أمام المجلس البلدي 260
(1-18): أسرى سجن نابلس في "فورتهم" الصباحية،
مطلع تشرين الأول/ أكتوبر 1968 267
(1-19): كاريكاتور صحيفة هآرتس عن حمدي كنعان 283
(1-20): الترجمة العربية لكاريكاتور صحيفة هآرتس عن حمدي كنعان 284
(2-1): مانشيت استطلاع القدس حول الانتخابات البلدية المقترحة،
وكاريكاتور نُشر إلى جواره 398
(مدخل 2-1): كنعان ونابلس 448
(مدخل 2-2): كنعان مع رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة 452
(4-1): رئيس بلدية نابلس ومحافظها يتفقدان أحد المشاريع 461
(4-2): كنعان في مؤتمر رؤساء البلديات 467
(4-3): كنعان والملك حسين في ضيافة الاتحاد النسائي العربي في نابلس 475
(4-4): كنعان والملك الحسين بن طلال 476
(4-5): كنعان أمام منزله الجديد الذي استكمل بناءه
بعد حرب حزيران/ يونيو 1967 488

(4-6): المساكن الشعبية - رفيديا 505
(4-7): المساكن الشعبية - عسكر 508
(5-1): تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في صحف القدس 530
(5-2): الملك حسين في ضيافة كنعان 535
(5-3): مأدبة غداء للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة وزوجته الماجدة
أقيمت في فندق فلسطين 538
(5-4): الصراع مع المنظمة في صحف القدس 547
(5-5): أيام السموع في صحف نابلس 553
(5-6): أيام السموع وتحريض صحف سورية ومصر 556
(5-7): الصراع الحدودي مع سورية في الصحف 559
(5-8): حرب في انتظار الحرب كما برزت في عناوين الصحف 561
(5-9): مواقع اشتباك الدبابات في معركة وادي التفاح 579
(5-10): آثار معركة وادي التفاح 580
(5-11): دبابات متفحمة في وادي التفاح 581
(5-12): خريطة ميدانية تظهر عليها تحديثات يدوية
لسير الهجمة على نابلس من المحاور المختلفة 583
(5-13): فتى نابلسي في الأيام الأولى للاحتلال 584
(6-1): كنعان في حديث مع الملك حسين خلال زيارته لنابلس 598
(6-2): الملك حسين على مائدة كنعان في منتزه البلدية 614

عِرفان

لعائلة حمدي طاهر كنعان – رحمه الله – التي تفضّلت بإتاحة أوراقه كاملة بين يدي هذا الكتاب، وللزملاء الأعزاء؛ أسرة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، ومشروع دراسة وتوثيق القضية الفلسطينية، ولأسرة بلدية نابلس ومكتبتها.

وللأساتذة والزملاء الأعزاء: خالد فهمي، خالد الزواوي، رنا بركات، عبد الرحمن كتانة، نبيه بشير، خالد عودة الله، موسى البديري، ليزا تراكي، ندي أبو سعادة، محمد محمود الشربيني، أشرف بدر، علاء أبو قطيش، عروبة عثمان، أحمد عز الدين، عبّاد يحيى، عوني فارس، ساري عرابي، فارس جقمان، نصر البحيصي، محمد عثماللي.

وأخيرًا لعائلتي؛ والدَيّ الغاليين، وزوجتي الحبيبة، وأبنائي الأعزاء.

مدخل: حمدي كنعان رئيسًا لبلدية نابلس،
مقاومة وصمود الإنسان والمدينة

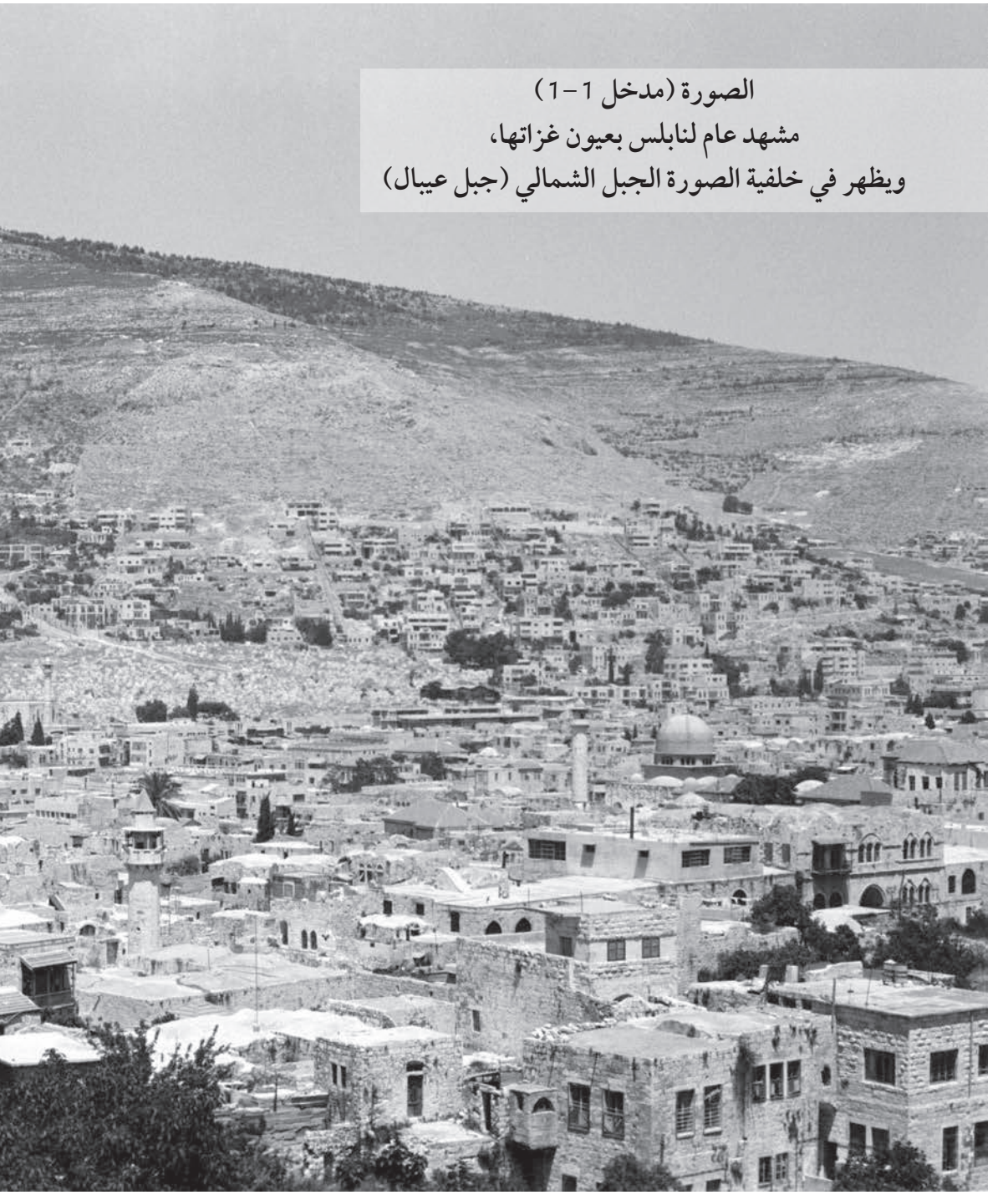

الصورة (مدخل 1-1)
مشهد عام لنابلس بعيون غزاتها،
ويظهر في خلفية الصورة الجبل الشمالي (جبل عيبال)

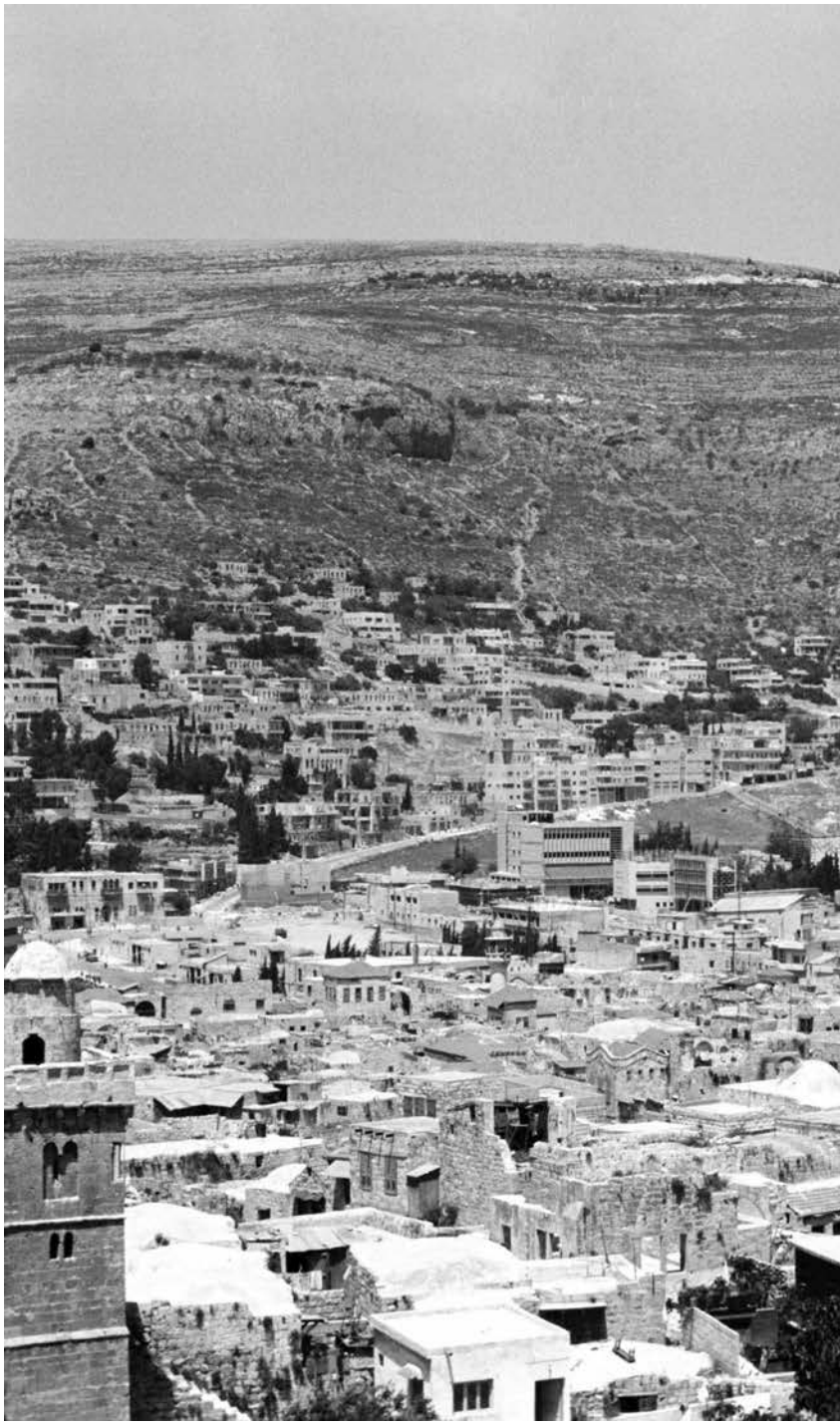

المصدر: أرشيف جيش الاحتلال، التُقطت من جبل جرزيم بتاريخ 7/ 6/ 1967، تصوير ألكس إغور.

أولًا: مشاهد متغايرة

[1]

الزمان: السبت 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1918.

المكان: مدينة نابلس.

جلس عمر حسن زعيتر (1871–1924)، يحبّر رسالة إلى ولده عادل عمر زعيتر (1895–1957) الذي انتقل إلى القاهرة لمواصلة دراسته فيها، وحين وقعت مدينة نابلس تحت الاحتلال الإنكليزي، كتب إلى والده الشيخ عمر مستفسرًا عن حال المدينة وأهلها، فكان رد الشيخ: "... كل أهل نابلس لم يحصل لهم شيء من الضرر، فالحمد لله على ذلك؛ [ففي صباح يوم الجمعة]، 20 أيلول 334 {20 أيلول/ سبتمبر 1918}[1]، أحسّت الحكومة والعسكرية بالخطر على لواء نابلس، واعتمدوا على الانسحاب، وعندها طلبني المتصرف، وأعطاني ورقة لاسمي مآلها حسب الإيجاب: 'قد خرجتُ من قصبة نابلس، ووكلتك في إدارة شؤون الحكومة إلى أن أعود، فيقتضي منك المحافظة على حقوق الأهالي'[2]، وعندها سافر هو والمأمورون عن طريق بيسان، وأخذ الجيش في الانسحاب، ومن المعلوم أن انسحاب الجيش، وترك البلدة بدون حكومة ولا نفر ضبطية ولا بوليس هو خطر عظيم، مهما كانت مدنية الأهالي.

بالحال رجعتُ لدار الحكومة، وطلبتُ المجلس البلدي، وقررتُ تعيين ثلاثين بوليس، مع أربعة قومسيرية {مشرفين}، ومدير بوليس، وستين نفر جاندرمة {جنود}، مع قوماندان جاندرمة {قائد جند}، وقوماندان بلوك {قائد فوج}، ونبهت عليهم كل

(1) وضعت بيان الحوت التاريخ الميلادي الموافق 2 أيلول/ سبتمبر 1334 رومي، 3 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، وهذا غير دقيق، إذ يوافق هذا التاريخ الرومي الجمعة 20 أيلول/ سبتمبر 1918 ميلادي، ويتفق التاريخ الأخير مع التأريخ العسكري لمعركة احتلال المدينة، إذ كان احتلالها صباح 21 أيلول/ سبتمبر 1918. تجدر الإشارة إلى أن تعديلات الباحث على النصوص المقتبسة في هذه المقدمات والمحقَّقة سابقًا ستكون ضمن الأقواس { }، تمييزًا لها عن تعديلات المحررين/ المحققين الأصليين التي تكون بين المعكوفين [ ].

(2) جاء في نص الورقة الأصلية التي خطها متصرف نابلس فائق أوزتراك، وحفظها أكرم عمر زعيتر في أوراقه ما ترجمته: "به [بسم الله الرحمن الرحيم] إلى وكيل رئيس بلدية نابلس الشيخ عمر زعيتر أفندي، أوجبتني الظروف لفراق المدينة، فأرجو منكم سيدي إجراء معاملات الحكومة بالوكالة، والحفاظ على حقوق الأهالي إلى حين عودتي".

التنبيه، وقسمتهم إلى فرق وأقسام، يطوفون في البلد وفي الشوارع، وكنت ترى نابلس من أرقى البلاد انتظامًا، وفي صباح السبت انتشرت الدوريات من جاندرمة وبوليس وجاويشية {رقباء}، وكل إنسان في مخزنه، وكل من سد مخزنه يدفع خمس ليرات، جزاءً نقديًا، وفي الساعة الخامسة من ذلك النهار، أخذت المدفعية التي في جوار المكتب الإعدادي تضرب المدافع على العدو، فأرسلتُ لها إخبارًا بأن تترك ضرب المدفع، لأن مدفعها يصيب القصبة والعسكر العثمانية التي في الجهة الجنوبية، فتُرك الضرب، واجتمعت ألوف مؤلفة – من غير مبالغة – {من} عموم نابلس والمهاجرين باب دار الحكومة، وأرسلتُ كام نفر {جندي} لخارج القصبة، يطلبون كام نفر من الإنكليز للتفاهم معهم، فحضر جماعة منهم، وعملنا لهم تحية، واستحضرت قوماندان السواري {قائد الفرسان} الإنكليزي، وتفاهمت معه أيضًا.

وفي الصباح، ثاني يوم، حضر جماعة من الأمرا، والضابطان الإنكليز لنابلس، وشاهدوا الانتظام وتمشية الأمور ودار الحكومة، فالقائد خاطبني: 'أنت الحاكم المسؤول لدى الحكومة الإنكليزية، لبينما يأتي الحاكم، فإجراءاتك تكون مقبولة من طرف الدولة الإنكليزية'. وأخذتُ في العمل، فعيّنتُ الشيخ نمر أفندي الداري رئيس محكمة، وبشير أفندي الشرابي مدعي عمومي، ونمر أفندي حماد مدير تحريرات، وشاكر أفندي الجوهري محاسبه جي {محاسبًا}، وفائق أفندي عنبتاوي مدير بوليس، وجميل أفندي كمال قوماندان جاندرمة، وجملة مأمورين، فالحمد لله على هذه الموفقية. وبعد يومين ثلاثة، حضر سعادة الحاكم، وهو ميرالاي {أمير فيلق} أركان حرب، فقال لي: 'إننا عمومًا ممنونون من إجراءاتك، ولم نرَ بلدة من البلاد التي احتليناها مثل نابلس، فنشكرك'. وها نحن في أهم الأشغال في الليل والنهار، وفقنا الله لمرضاته، والأحوال حسنة فالحمد لله على ذلك. كما قلت لكم كل الناس بالصحة والعافية، ونحن لا نشتغل في شيء من أمور التجارة، حيث الأحوال واقفة"[3].

(3) "رسالة من رئيس بلدية نابلس، الشيخ عمر زعيتر، عن أوضاع المدينة في أثر انسحاب الجيش العثماني"، بتاريخ 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، وردت في: بيان نويهض الحوت (إعداد)، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939 من أوراق أكرم زعيتر**، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 3–4. تذكر بيان الحوت أن ما يقابل التاريخ الرومي الموافق 2 تشرين الأول [1334] رومي، هو 15 تشرين الأول/ أكتوبر 1918 ميلادي، وهذا غير دقيق، إذ يوافق هذا التاريخ الرومي السبت 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1918 ميلادي.

[2]

الزمان: الثلاثاء 3 أيار/ مايو 1948.

المكان: مدينة يافا.

جلس يوسف مصطفى هيكل (1907–1989) في مكتب حاكم لواء اللد المستر {وليام} فولر {William V. Fuller (1907–؟)}. بدأ فولر الاجتماع بالحديث عن أسفه لما حلّ في يافا، ولنزوح معظم السكان عنها، ثم سأله إن كان ينوي البقاء في المدينة بعد الجلاء البريطاني عنها، يقول هيكل: "أجبتُ بأنني سأغادر يافا إلى عمّان إلى حين"، ويضيف بأن فولر رد عليه: "لا أدري إن كان من الأنسب ليافا ولك شخصيًا أن تبقى فيها، لتسعى إلى تحسين الأوضاع عندما يدخلها اليهود بعد نهاية الانتداب"، فكان رد هيكل بسؤال: "ما هي الضمانات التي تضمن عدم احتلال اليهود للمدينة، وفي حال احتلالهم لها، ما هي الضمانات التي تضمن لنا عدم اعتداء اليهود على أحد من أهل يافا؟".

رد المستر فولر بعد قليل من التفكير: "لا توجد ضمانة غير كلمة شرف اليهود"، فرد هيكل: "ومن يضمن كلمة شرف اليهود؟"، فرد فولر: "لا أحد، لكن اليهود يريدون أن يكونوا أمة لها مكانتها بين الأمم المتمدنة، وهم لذلك سيحافظون على كلمة شرفهم، لا يمسّون العرب بسوء، ولا يعتدون على أملاكهم، ولا يحرمونهم من حقوقهم. فإن لم يكن لليهود شيء فيما مضى، فهم يريدون شيئًا، وهذا وحده كافٍ لحفزهم على أن يسيروا مع قافلة المتمدنين". انتهى النقاش بعد قناعة فلور أن هيكل لا يريد البقاء، فانتقل إلى موضوع آخر، إعلان المدينة كمدينة مفتوحة[4].

[3]

الزمان: 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1956.

المكان: مدينة خان يونس.

شرع عبد الرحمن محمد الفرا (1889–1969)، رئيس بلدية خان يونس، في تدوين يومياته فكتب: "غارت الطائرات {الإسرائيلية} على خان يونس خمس

(4) تفاصيل النقاش، كما عرضها هيكل، وردت في نصه "يافا في سنواتها الأخيرة"، في: امتياز دياب (إشراف)، **يافا عطر مدينة**، مراجعة وتقديم هشام شرابي (بيروت: دار الفتى العربي؛ الناصرة: مركز يافا للأبحاث، 1991)، ص 54.

غارات متتالية، وضربت بالفيكرز والقنابل اليدوية كثيرًا من الأماكن، فقضيت هذا اليوم في شوارع خان يونس لإسعاف القتلى والجرحى، وأخيرًا اجتمعت بالحاكم الإداري لخان يونس، والمشرف على {شؤون} اللاجئين الملازم أول عبد الغني مصطفى، ومفتش البوليس الفلسطيني أحمد الزين، وقمنا جميعًا بإسعاف المصابين رغم الغارات المتواصلة على خان يونس. وفي آخر النهار توجهنا إلى عيادة الحكومة، ولم {أرَ} من الأطباء إلا الدكتور خيري أبو رمضان وزوجته الدكتورة دلال، ولقد أُغمي عليهما من كثرة ما قاما به من أعمال في إسعاف المصابين، بالاشتراك مع موظفي العيادة، واستمر هذا العمل حتى الساعة السابعة.

وتوجهت بعد ذلك للبيت، بعد أن دعوت الحاكم والمشرف ومفتش البوليس للمبيت في بيتي. وفعلًا، حضروا جميعهم للبيت، كذلك بعض أفراد البوليس، وبعض شباب اللاجئين، وبعض سكان الحارة وشباب العائلة. وفي منتصف هذه الليلة استمر القتال، وكانت المدفعية تضرب بشدة من الجهة الشمالية بخان يونس، وبعد حوالي ساعة من الزمن وقف الضرب، حيث ابتدأت الغارات الجوية على المدينة ومواقع الجيش. وقرب الفجر، سُمعت الأسلحة الأوتوماتيكية والقنابل اليدوية في شارعنا، حيث جرت معركة حامية الوطيس، واستمرت حوالي ساعة، ولقد لاحت أنوار الفجر، فنظرت من شباك الدار، فوجدت أن جيش إسرائيل دخل خانيونس، وضرب على بيتي مدفعيتين، هدم قسم من الدور الثالث وقسم من الدور الثاني، وحصل أضرار للبيت من جراء ذلك. ثم حضر ضابط إسرائيلي وطلبني لمقابلة القائد، وسلّمته الحاكم والملازم والضابط أحمد الزين بناءً على رغبتهم، وهناك طلبت منه معامله الناس بأمان، وإقفال الدكاكين المفتوحة من الجيش، وعدم قتل الناس، وأشياء كثيرة {.....}"[5].

وفي يوم السبت، 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1956، دوّن الفرا: "عند الساعة السابعة صباحًا، ضُربت على بيتي {قنبلتان} من مدفع هاون، فهدمت {قسمًا} من الطابق العلوي والأوسط، ولولا إرادة الله لكنت ضحية القنبلة الثانية. كانت تأتي لنا

(5) سليم عرفات المبيض (إعداد)، **يوميات المجاهد عبد الرحمن الفرا رئيس بلدية خان يونس** (1936–1962)، ج 4: 1956–1962 (غزة: مكتبة ومطبعة دار الأرقم، 2012)، ص 119.

الأخبار بواسطة السيدات والبنات الصغار بأن الجنود يدخلون البيوت، ويأخذون الرجال إلى الساحات، ويطلقون عليهم الرصاص"[6].

ودوّن الفرا يوم الخميس، 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1956: "أُذيع على الناس بواسطة مكبّر الصوت أن يسلّموا جميع ما لديهم من أسلحة، ثم عُيّن المسجد الكبير مكانًا لتسليم هذه الأسلحة، وذهبت للحاكم اليوم وطلبت منه إعادة فتح المسجد للعبادة، ولا سيما غدًا بمناسبة يوم الجمعة، فرفض ذلك. حتى هذا اليوم تسود المدينةَ موجةٌ من الإرهاب، إذ إن إطلاق الرصاص لا يهدأ من الأسلحة الأتوماتيكية أثناء الليل والنهار"[7]. ودوّن يوم الجمعة، 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1956: "قمت بدفن الموتى الذين كانوا حتى هذا اليوم بدون دفن في الشوارع والساحات العامة، وكانت الأرقام تدل على وجود حوالي 400 قتيل، و600 جريح. خرجنا الساعة العاشرة، طُفنا على بعض الموتى لدفنهم – الذين لا يزالون في الشوارع – والبالغ عددهم حوالي ألف"[8].

[4]

الزمان: 7 آذار/ مارس 1957.
المكان: مدينة خان يونس.

جلس الفرا ليدوّن يومياته من جديد فكتب: "في الصباح الباكر انسحبت اليهود أثناء الليل، ودخلت قوات الطوارئ الدولية خان يونس، وعلى الإثر احتشدت الناس وقاموا بمظاهرات كبيرة، معلنين بذلك عن فرحتهم وسرورهم وتخلصهم من اليهود، وكانوا يحملون الأعلام المصرية والفلسطينية واللافتات الكبيرة وهم يهللون ويكبّرون ويهتفون للرئيس جمال عبد الناصر والقومية العربية. وقد حضر للمدينة كثير من الصحفيين والمصورين، وشاهدوا احتفالات أبناء المدينة وفرحها.

أتيتُ البلدية. اجتمع أعيان ومخاتير البلدة وأعضاء المجلس البلدي، حيث قامت المظاهرات بالهتاف إلى جمال عبد الناصر ومصر والعروبة، وإسقاط بن غورين والصهيونية والاستعمار"[9].

---

(6) المرجع نفسه، ص 120.
(7) المرجع نفسه، ص 123–124.
(8) المرجع نفسه، ص 124.
(9) المرجع نفسه، ص 236.

[5]

الزمان: صباح الأربعاء 7 حزيران/ يونيو 1967.

المكان: مدينة نابلس.

اقتحمت دبابات اللواء المدرع 37 الإسرائيلي بوابة نابلس الشرقية، وبعد ساعات من الاشتباك مع شباب المدينة الذين تمركزوا في جبلها أو تربصوا في مقبرتها الشرقية، أوقعوا خسائر في قوات اللواء، وفي غرب المدينة، في وادي التفاح، كانت تحتدم معركة دبابات أخرى لم تدُم طويلًا، سقط فيها عدد من شهداء قوات الجيش العربي الأردني[10]، خلدتهم المدينة في وقت لاحق. وبعد أسبوعين من هذا اليوم، أي في 22 حزيران/ يونيو 1967، حمل رسول من نابلس رسالة من حمدي كنعان رئيس البلدية إلى صديقه في عمّان أكرم زعيتر، يبلغه فيها:

"أخي، لا شك أنكم في لهفة لسماع أخبارنا. لقد كان دخولهم هادئًا إذا ما قيس بالتجارب السابقة، فلم يكن هناك تخريب يُذكر، وأما القتلى فيبلغون حوالى الثمانين، وأكثرهم من الشباب الذين تسلقوا الجبال لمقاومة لا تجدي، وآخرين ممن تسبب هؤلاء في قتلهم ببيوتهم، وبعض أفراد من الجيش العربي الأردني. لقد أجلوا أهالي طولكرم وجوارها وقلقيلية وجوارها عن قراهم، ومنهم من حضر بنفسه والباقي أحضره الجيش، وقذفوا بهم في الباذان وعلى الطريق في بلاطة وعسكر ورفيديا وشوارع نابلس، بعد أن ضاقت بهم المدارس. وبعد أن قمنا بإعادة عدد لا بأس به من الناس، أمروا بتوقيف عملية النقل. من الضروري التركيز على هؤلاء وتدخّل الصليب الأحمر. البلد تعاني كثيرًا من البطالة والجوع، وبإمكانهم أن يعملوا كل ما يخفف من أثر الواقعة ويعيد الحياة لطبيعتها، ولكنهم على ما يظهر يتقصدون إهلاكنا. لقد قمنا بالواجب خير قيام، وتوفقنا للخدمة إلى حد بعيد. سلامي للجميع"[11].

وفي 28 حزيران/ يونيو 1969، جلس حمدي طاهر كنعان (1909–1981) ينهي المسوّدة الأولى من مذكراته التي ابتدأها بالحديث عن الأيام الأولى لحرب

(10) من أبرزهم الشهداء الذين وُثّقوا في النصب التذكاري الذي أقامته بلدية نابلس، وهم: صالح عبد الله الشويعر، سليمان عطية الشخانبة، صياح عوّاد، راشد موسى نمر العظامات.

(11) "رسالة حمدي كنعان إلى أكرم زعيتر"، 22/ 6/ 1967، وثيقة مخطوطة محفوظة في أرشيف ذاكرة فلسطين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

حزيران/ يونيو 1967، واحتلال مدينته نابلس قبل عامين. دوّن كنعان أثناء حديثه عن يوميات اليوم الثاني لاحتلال المدينة، يوم الخميس 8 حزيران/ يونيو 1967: "وكان الناس قد باتوا ليلتهم في رعب رهيب بانتظار ما يخبئه الغد، متأثرين بما عُرف من المذابح التي جرت في غزة وخانيونس سنة 1956، وما كاد السكان يروننى في الصباح أتجوّل في سيارتي من حين لآخر، مارًا بأكثر الشوارع تقريبًا، حين كنت أجمع أعضاء البلدية وموظفيها، حتى زاولهم الخوف وحلّت الطمأنينة في نفوسهم. وكان موقفًا مؤثرًا حينما كان بعض الشبان يوقفوني مستفسرين إن كان من داعٍ للخوف، فكنت أطمئنهم وأشجعهم بأن لا يخشوا شيئًا، وكان لهذا أثره الكبير في إعادة الطمأنينة إلى نفوس السكان عامة".

[6]

أزمنة وأمكنة متغيّرة، وإن كانت تجمعها بقعة جغرافية واحدة "كانتْ تُسمَّى فلسطين، صارتْ تُسمَّى فلسطين"[12]، وحدث واحد، هو هجمة استعمارية تستهدف احتلال الأرض. ورغم اختلاف الأزمنة والأمكنة، إلا أن هذه المشاهد – في ظل تقاطع الكثير من الظروف والسياقات بينها – أبرزت تجربة مستمرة أثّرت في مسار الأحداث بشكل مباشر، كما يظهر في نص كنعان.

تباينت تفاعلات أهل فلسطين الذين أُسندت إليهم مهمة إدارة مدنهم المحلية؛ فمنهم من تصدّر لمواجهة المشهد فأسس حكومة محلية تدير شؤون مدينته إلى حين، ومنهم من قرر الانسحاب – وإن سعى لاحقًا إلى العودة – لغياب الأفق وفقدان الجدوى والخوف من المجهول، ومنهم من آمن بضرورة العمل لحفظ مدينته، مجددًا شعار عبد المطلب لأبرهة "إنّي أنا ربُّ الإبل، وإنّ للبيتِ ربًّا سيمنعُه"[13]. فاعتنى بشؤون المدينة، وسعى لتحقيق مطالبها الآنيّة، وتعزيز صمودها إلى حين.

وكما سيظهر، يقدّم نص كنعان تذكرًا تفصيليًا يمكن أن يسهم في قراءة مقارنة

(12) محمود درويش، **الأعمال الأولى** 3 (بيروت: رياض الريّس، 2005)، ص 111.

(13) عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مج 1، ط 2 (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955)، ص 50. ويُنظر تعقيب سليم عرفات المبيض على فعل رئيس بلدية خان يونس الفرا في: المبيض، ص 122.

للتجارب السابقة، لكن قبل "تذكّر كنعان"، تحاول هذه المقدمة استباق التحقيق وذيوله بتقديم سيرة اجتماعية اقتصادية سياسية لصاحب التوثيق الأخير، حمدي طاهر كنعان، سيرة تتقاطع مع سيرة مدينته، من خلال قراءة اعتمدت على مصادر أولية محلية، وأخرى قدمتها أراشيف وأدبيات مختلفة.

ثانيًا: سيرة أولى

1. بواكير

بعد رحلة استمرت شهرين، كانت نابلس محطتها الثانية، كتب محمد رفيق راغب التميمي (1889-1956)، نابلسي المولد وخريج التاريخ والآداب من السوربون في باريس، ومدير المكتب التجاري في بيروت، ورفيقه محمد بهجت الحلبي، المدير الثاني في المكتب السلطاني، في دليلهما المقدَّم لوالي بيروت العثماني عزمي بك أفندي، الذي نُشر خلال الحرب العالمية الأولى، في وصف مدينة نابلس:

"تقوم قصبة نابلس على وادٍ بين جبلين، وهما جبل العبال {عيبال}، أو جبل السليمية، القائم على جهتي الشمال والشمال الشرقي من القصبة، والآخر جبل غاريزيم {جرزيم}، أو جبل الطور، القائم على جهتي الغرب والجنوب الغربي. أما الجهة الشرقية الجنوبية فإنها أكثر ارتفاعًا من بقية أقسام القصبة القائمة في الوادي، وأما الجهة الشمالية الغربية فإنها منحطّة. لا تتصل الدور القائمة في سفح جبل العبال ببعضها، وبهذا الاعتبار، فإن بقية دور القصبة يضمها جبل غاريزيم بين جناحيه.

إن قصبة نابلس التي تبدأ من الشرق وتنتهي بالجهة الغربية، بعد أن تنحط قليلًا في الجنوب الشرقي، قد تراكمت على بعضها بشكل منعطف جبلي، فمثّلت شبه القطع الناقص، ويمكن أن يُقال عن منظرها إنها محدودة وضيقة أكثر من كل بلدة. وليس لبلدة نابلس منطلق فسيح سوى جهة الغرب الشمالي، فإنّ هناك {أراضيَ} واسعة وممتدة على طول الوادي.

ويمكن للناظر أن يشاهد من هذه الباحة الفسيحة مناظر بديعة جدًا، فيرى منظر

الشمس تندلق من بين المهيب الأبيض، ثم ترى عن بعد قرصًا من النار الحمراء، ثم يراها تدفع بنفسها في قلب البحر [اللازوردي] القاتم، فيتمزق شملها بشكل حرائق أرجوانية. أما جهات 'بلاطة' و'عسكر' البعيدة، فهي مطلع الشمس البديع، ويمكن أن يُقال إن غروب الشمس وطلوعها هما صحيفتان من صحائف الطبيعة التي مُنحتا لنابلس، وقد جمعت فيها الطبيعة كافة مظاهرها، حوّلت المياه التي تجري في الوادي بين الجبلين تلك الأراضي إلى حديقة طولانية الشكل، زمردية اللون بلا انقطاع"[14].

بلغ عدد سكان نابلس – التي كانت تتبع ولاية بيروت العثمانية آنذاك[15] – نحو 21,073 نسمة، وفقًا لإحصاء عام 1327 رومي، الموافق 1911–1912 ميلادي، بحسب تقديرات التميمي وبهجت. وقد سكنوا نحو خمسة – ستة آلاف دار[16]، فامتلأت جهاتها الشمالية والشرقية والجنوبية والغربية الشمالية بالبيوت المنشأة على الطراز الحديث[17]. ولم تكن الحرب وآثارها العامل الوحيد الحاضر في نابلس خلال هذه الفترة الزمنية، فبينما كان حمدي، المولود الخامس للحاج طاهر داود كنعان[18] والرابع لزوجته نزهة خليل قطينة[19]، يرى النور في منزل العائلة الممتدة

(14) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت، **ولاية بيروت –1– القسم الجنوبي: ألوية بيروت وعكا ونابلس** (بيروت: دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع؛ مطبعة الإقبال، 1979)، ص 84–85. وأثارت ملاحظات التميمي ووصفه لأهل نابلس حفيظة بعض سكان المدينة، ولمّا عيّنت الحكومة الاستعمارية البريطانية التميمي مفتشًا للمعارف، أُعيد نشر جزء من الكتاب في عام 1934 بصيغة استنكارية تحريضية ضد التميمي. للمزيد عن المدينة وجغرافيتها، يُنظر: مصطفى مراد الدباغ، **بلادنا فلسطين: الجزء الثالث، الديار النابلسية (1)** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2016)، ص 73–190؛ عبد الله عافر، "مدينة نابلس دراسة إقليمية"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، 1964؛ "نابلس"، في: **الموسوعة الفلسطينية القسم العام**، عبد الهادي هاشم (محرر)، مج 4 (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 415–420.

(15) أُلحقت نابلس بولاية بيروت حوالي عام 1890.

(16) وفقًا للنمر، بلغ عدد دور نابلس قبل الحرب العالمية الأولى 2224 دارًا: إحسان النمر، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء، الجزء الثالث: عهد تطبيق النظم الحديثة** (نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، [د. ت.])، ص 129.

(17) التميمي وبهجت، ص 85–87.

(18) ولد طاهر داود كنعان في نابلس، عام 1287 هجري، الموافق لعام 1870/ 1871 ميلادي.

(19) ولدت نزهة خليل قطينة في القدس، عام 1297 هجري، الموافق لعام 1879/ 1880 ميلادي.

في الحارة الغربية في البلدة القديمة من نابلس[20]، في عام 1909[21]، كانت المدينة تشهد صراعات سياسية مختلفة، شكّلت انعكاسًا للتحولات الرئيسة التي كانت الدولة العثمانية تمرّ بها بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني (1842–1918)، خلال فترة حكمه الثانية (1876–1909)، في نيسان/ أبريل 1909[22].

كانت عائلة كنعان جزءًا من تلك الصراعات، فخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عاد إلى نابلس الشيخ عباس شحادة الخماش (1905–؟)، بعد دراسته في الأزهر مدة من الزمن، فشكّل محور استقطاب لعدد من العائلات والشخصيات النابلسية التي لم تكن من الأُسر صاحبة النفوذ سابقًا – على خلاف عائلة كنعان – خلال أعوام وجوده في نابلس، قبل أن يغادرها مضطرًا إلى حمص حيث توفي هناك. اصطدم الشيخ عباس ومجموعته التي اشتُهرت بـ "جمعية الشيخ عباس" مع النخب المسيطرة السابقة، وتعززت هذه المواجهة بعد أن صار رئيس قلم المتصرفية الحاج "محمد توفيق" أحمد حماد (1867–1934) زعيمًا للجمعية[23].

من أبرز المواجهات التي قادتها الجمعية، وكان من أعمدتها الحاج طاهر كمال، والشيخ محمد عمر زعيتر (1831–1913)، وأحمد إبراهيم العمد (1845–؟)، ومحمد حسن الشكعة، وإبراهيم رزق المصري، السيطرة على البلديات في نابلس وجوارها، وكان أولها سيطرة الحاج حماد على رئاسة بلدية نابلس، وإقصاء بشير بك

(20) سكن "الحوش" الذي ولد فيه كنعان، كما يظهر إحصاء النفوس العثماني مطلع القرن العشرين، بعض أبناء داود كنعان وأسرهم (الإخوة الأشقاء أمين وسعيد ومصطفى، والإخوة الأشقاء طاهر وصادق). وكان طاهر قد تزوج عيشة سليمان العمد (ولدت في نابلس عام 1285 هجري، الموافق لعام 1868–1869 ميلادي) وأنجبت له كوثر (ولدت كوثر في نابلس عام 1309 هجري الموافق لعام 1891–1892 ميلادي)، وتزوج ثانية من نزهة التي أنجبت فائقة (ولدت في نابلس عام 1311 هجري، الموافق لعام 1893/ 1894 ميلادي، وتزوجت أحمد حسن الشكعة)، وشهرة (ولدت في عام 1314 هجري، الموافق لعام 1896/ 1897 ميلادي، وتزوجت زكي عبد الحليم كنعان. توفيت في أيلول/ سبتمبر 1990)، وداود (ولد في نابلس عام 1320 هجري الموافق لعام 1902/ 1903 ميلادي، وتوفي في شباط/ فبراير 1990)، وحمدي، وأنور (توفي في تشرين الثاني/ نوفمبر 1985)، ونشأت، وافتكار.

(21) يفيد دفتر العائلة الصادر من وزارة الداخلية، بتاريخ 28/ 11/ 1979، أن تاريخ ميلاد حمدي طاهر كنعان في نابلس كان في عام 1909، وأن تاريخ ميلاد زوجته ناجية رشيد محمود قطينة هو 1912.

(22) عن صورة السلطان عبد الحميد لدى النابلسيين، يُنظر: النمر، مج 3، ص 101–103؛ محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة: سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305–1404هـ، 1887–1984م** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 178–193.

(23) النمر، مج 3، 56–59؛ دروزة، مج 1، ص 122–123.

عبد الله طوقان (1856–؟) من رئاسة البلدية. ونتيجة للصراعات السياسية على مدينة نابلس، والتي كانت العاصمة إسطنبول ساحتها، انحاز الحاج حماد وجمعيته إلى السلطان عبد الحميد الثاني، واتخذوا موقفًا مناوئًا لإعلان الدستور أولًا، ثم للانقلاب النهائي لجمعية الاتحاد والترقي[24] في نيسان/ أبريل 1909. وعلى الرغم من سيادة أنصار الاتحاد والترقي بعد ذلك، فإن الجمعية حافظت على نفوذها[25].

أبرزت جمعية عباس/ حماد وجوهًا جديدة ستسيطر بتضامنها على جزء أساسي من المشهد الاقتصادي الذي سيكون مدخلها لاحقًا لجزء أساسي من المجال العام في نابلس خصوصًا، وفي فلسطين (المستعمَرة بريطانيًا) عمومًا. كان الحاج طاهر تاجرًا يعمل مع أخيه الشقيق صادق في تجارة الجملة للحبوب والمواد الغذائية، وكانت أسرته التي انحازت إلى جمعية عباس/ حماد من أُسر التجّار النابلسية المعروفة والميسورة، وارتبطت عائلة الحاج طاهر من خلال المصاهرة مع أسرة إحدى الشخصيات الصاعدة في جمعية عباس/ حماد، إذ كانت فائقة طاهر كنعان، الزوجة الثانية لأحمد حسن الشكعة الذي سيصير خلال فترة الاستعمار البريطاني لفلسطين واحدًا من أبرز وجوه المدينة، ثم من أبرز وجوه المعارضة في فلسطين[26].

أضفى الاحتلال الأول، الموصوف في رسالة الشيخ زعيتر[27] السابقة، مكانة

---

(24) كانت جمعية الاتحاد والترقي جمعية سرية قادت في عام 1908 حراكًا ضد السلطان عبد الحميد، ألزمه بإعادة العمل بدستور عام 1876، وإثر ذلك تحوّلت إلى حزب سياسي رئيس تغلغل في أركان الدولة العثمانية. عن الجمعية وصدى حراك عام 1908 في نابلس، يُنظر: دروزة، مج 1، ص 180–190.

(25) المرجع نفسه.

(26) مثّل الانقسام السياسي الفلسطيني (مجلسي/ معارض) امتدادًا لانقسامات عائلية تاريخية متجاوزة للحظة الاستعمار البريطاني، وقد تجذّر هذا الانقسام وأخذ أبعادًا جديدة في ظل الاستعمار البريطاني، خصوصًا إثر ثورة عام 1936–1939، وكان محورا الاستقطاب الرئيسان في هذا الانقسام الحاج أمين الحسيني وتياره السياسي الذي يمثله الحزب العربي، وسُمي أتباع هذا التيار شعبيًا بـ "المجلسيين"، وراغب النشاشيبي وتياره السياسي الذي يمثله حزب الدفاع، وسُمي أتباعه شعبيًا بـ "المعارضة".

(27) تولى الشيخ زعيتر – أحد أبرز أعمدة الجمعية – رئاسة البلدية، خلال أعوام الحرب العالمية الأولى، بدلًا من حيدر علي طوقان (1871–1952). عن ذلك يُنظر: دروزة، مج 1، ص 123. ويُنظر وصف أكرم زعيتر لوالده الذي ينطبق كثيرًا مع وصف دروزة له في: أكرم زعيتر، **بواكير النضال من مذكرات أكرم زعيتر 1909–1935** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994)، ص 7–8.

وكانت بلدية نابلس قد تشكّلت حين كانت المدينة مركزًا لمتصرفية لواء البلقاء، وعُيّن لرئاستها محمد أفندي تفاحة الحسيني، وحدّد كتاب التعيين، الصادر في 20 جمادى الأولى 1285 هجري، الموافق 8 أيلول/ سبتمبر 1868 ميلادي، مهمّات رئيس البلدية في "استكمال وسائل طهارة البلدة ونظافتها، وتعديل أسعار =

جديدة – لم تكن موجودة سابقًا – على منصب رئيس البلدية، إذ وصف التميمي وبهجت في عام 1916 غياب فهم حقيقي لمعنى "بلدية"؛ فرئيس البلديةوموظفوها لم يجدوا في أنفسهم آنذاك إلا جهات تنفيذية – حرفيًا – لأوامر مدير الناحية أو القائمقام أو المتصرف بلا اعتراض أو توقف. وتعليقًا على ميزانية البلدية لعام 1332 رومي، الموافق 1916/ 1917 ميلادي، كتب التميمي عن غرائب كثيرة تظهر من تدقيق جداول الميزانية: "الغريبة الأولى؛ زيادة واردات البلدية على مصارفها، وكيف تزيد الواردات على المصارف في زمن تفشّت فيه الأمراض السارية، وفتكت فيه الحاجة والفاقة، فأودت بحياة الفقراء، و{شعر} بلظاها أيضًا الأغنياء، إنه لأمر لم يُسمع بمثله في ناحية من أنحاء العالم". وأضاف: "فالميزانية مفقودة اليوم في أي بلدية كانت من بلديات العالم المتمدن، لأن البلديات في كل بلدة هي دولاب الأعمال بين الشعب، بل الأب الشفوق على الأهلين، والبلدية ملجأ الأسر الفقيرة التي بقيت بلا رجال ولا معينين بسبب الحرب". وخلص في النهاية إلى أن هذه الميزانية مؤشر على أن أرقامها وُضعت بلا تبصر أو إمعان[28]. لكن احتلال المدينة، وإعلان الشيخ زعيتر لحكومتها، رفع من مكانة الشيخ زعيتر زعيمًا وطنيًا قويًا، فلم يقتصر تأثيره ونفوذه على نابلس وحدها، وإنما شملا فلسطين بأسرها، فازداد حضور البلدية ورئيسها[29].

كما توجه عدد من معلمي نابلس الذين تعطلت مدارسهم بسبب الاحتلال، مع عدد من شخصيات المدينة، إلى تأسيس مدرسة وطنية، هي مدرسة النجاح النابلسية الأهلية التي تحوّلت في عام 1919 إلى مدرسة النجاح الوطنية، فالتحق كنعان وعدد من أبناء المدينة بالمدرسة الجديدة التي سيتولى إدارتها لاحقًا شخصية نابلسية مركزية في الحركة الوطنية الناشئة وفي الحركة العربية هو "محمد عزة" عبد الهادي دروزة (1887–1984) الذي عاد إلى نابلس هربًا من حكم بالإعدام أقرّه المستعمر الفرنسي بحقه، بعد وأده الحكم العربي في دمشق الذي كان دروزة أحد أبرز فاعليه.

= أرزاقها، وتحسين عمرانها حسب التعليمات التي ترد من مركز الولاية": النمر، مج 3، ص 26–27. وعن بلدية نابلس خلال الفترة العثمانية، تُراجع قراءة مقارنة بين تجربة ثلاث بلديات؛ نابلس، حيفا، الناصرة، في:
Mahmoud Yazbak, "Comparing Ottoman Municipalities in Palestine: The Cases of Nablus, Haifa, and Nazareth, 1864-1914," In: Angelos Dalachanes & Vincent Lemire (eds.), *Ordinary Jerusalem, 1840-1940: Opening New Archives, Revisiting a Global City* (Leiden, Boston: Brill, 2018), pp. 240-261.

(28) التميمي وبهجت، ص 93–94.

(29) دروزة، مج 1، ص 123.

الصورة (مدخل 1-2)
حمدي كنعان وزملاؤه طلاب الصف الاستعدادي الخامس
في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس في عام 1926/ 1927

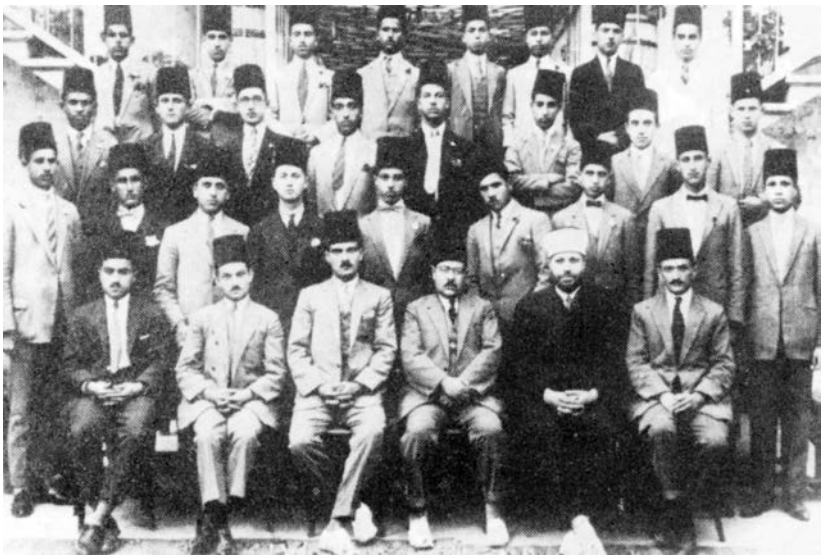

الجالسون من اليمين، الصف الأول: مستر هارلر أستاذ اللغة العربية والدين، الشيخ فهمي هاشم مدير المدرسة وأستاذ التاريخ والتربية، محمد عزة دروزة أستاذ التاريخ والجغرافيا والكشافة، جميل كمال أستاذ العلوم، زكي نقاش أستاذ الرياضيات، حسن عرفات. وفي الصف الثاني: عارف النابلسي، عادل جيوسي، راشد جيوسي، جمال الطاهر، رشاد حنون، حمدي كنعان، نعيم خوري، فارس حسن، حمدي السخن. وفي الصف الثالث: رفيق صوفان، منير أبو غزالة، نعيم عبد الهادي، تحسين كمال، مهيب الخياط، توفيق بشناق، رؤوف حمزة، فريد بركة. وفي الصف الرابع: خليل السخن، نعمان شلهوب، سعد الدين بسيسو، كمال حنون، سليمان الخضرا، أكرم كعكور، جواد الخياط، محمد جرار. المصدر: دروزة، مج 1، ص 524.

بين عامي 1923 و1924، تقرر إنشاء مدرسة جديدة على أرض أمام بناية المدرسة القديمة التي كانت تُسمى "البرج"، امتلكها أحمد الشكعة وحموه الحاج طاهر كنعان[30]. تخرّج حمدي في المدرسة، لكن ظروفًا اقتصادية طارئة على العائلة حرمته من استكمال تعليمه الجامعي بخلاف عدد من رفاق مدرسته، مثل أكرم عمر زعيتر (1909-1996)، لا سيما أن داود - شقيق حمدي الأكبر - كان يواصل دراسته العليا في إسطنبول، بينما توجه شقيقه أنور إلى دمشق لدراسة الطب. لهذا، ابتدأ كنعان في خط مساره الاقتصادي مبكرًا واستكمل تعليمه، كما قال كنعان لاحقًا،

(30) المرجع نفسه، مج 1، ص 538.

في "جامعة الحياة"[31]، وتزوج في عام 1932 من ابنة خالته ناجية رشيد قطينة التي تصغره بحوالي ثلاث سنوات[32].

لم تكن ظروف كنعان الحياتية بعيدة – كما يبدو – عن ظروف نابلس التي عانت واحدة من أبرز نكباتها في القرن العشرين، ففي الساعة الثالثة وخمس دقائق بعد ظهيرة يوم الإثنين 11 تموز/ يوليو 1927، حدثت الزلزلة أو الفاجعة النابلسية[33] لتصير نابلس بعدها مدينة أطلال؛ فقد هدم الزلزال كثيرًا من بيوتها وحوانيتها ومعاهدها[34]، وصيّر الباقي منها آيلًا للسقوط غير قابل للسُكنى، وقتل العشرات من رجال ونساء وأطفال[35]، ففرغت المدينة، ولجأ أهلها إلى الجبال والكهوف خوفًا وبحثًا عن مأمن[36]. كانت هذه النكبة تجربة المدينة الأولى مع المصائب المقبلة التي ستتصدى لها، وكانت بلديتها واجهة التصدي الرئيسة.

---

(31) نُقل ذلك عن كنعان في مقابلة أُجريت معه بعد الاحتلال، يُنظر: يؤال دار، "رئيس بلدية نابلس ينجح في المشي بين قطرات المطر والخروج جافًا"، **دفار**، 1/ 9/ 1967، ص 5 [بالعبرية].

(32) أنجبت ناجية ولدهما طاهر بتاريخ 1 آذار/ مارس 1935، وولدهما باسل بتاريخ 1 شباط/ فبراير 1938، وابنتهما باسمة بتاريخ 5 آذار/ مارس 1939.

(33) بهذا الوصف، عنون أحمد حنبلي من نابلس قصيدته "الزلزلة أو الفاجعة النابلسية". يُنظر: أحمد حنبلي، "الزلزلة أو الفاجعة النابلسية"، **اليرموك**، 22/ 7/ 1927، ص 3.

(34) "نداء واستغاثة في سبيل كارثة نابلس العظمى"، **فلسطين**، 19/ 7/ 1927، ص 4. قُدّر المجموع العام للمنازل المهدمة أو المتضررة بأربعمئة منزل: "على أطلال نابلس"، **فلسطين**، 29/ 7/ 1927، ص 6؛ "نابلس بعد الزلزال"، **الجامعة العربية**، 21/ 7/ 1927، ص 1، 4؛ "بيان عام بأسماء أصحاب وسكّان الدور المهدومة بنابلس"، **الشورى**، 4/ 8/ 1927، ص 1–2. ومن بينها منازل لأفراد من عائلة كنعان: عاهد كنعان، محمود كنعان، سعيد كنعان، شكري كنعان، راغب كنعان، عبد الله كنعان.

(35) قُدّر عدد القتلى – رسميًا – نتيجة الزلزال بما يقارب خمسة وسبعين قتيلًا: **الشورى**، 4/ 8/ 1927، ص 4. وكانت عائلة العكليك أبرز العائلات التي فقدت أرواحًا كثيرة، وأشارت صحيفة **فلسطين** إلى أن العرس المقام في بيت طاهر المصري، الذي جمع ما يقارب 1500 شخص، أنقذ المدينة من فاجعة محققة: **فلسطين**، 29/ 7/ 1927، ص 6. عن عائلة العكليك ووصف عام للمدينة لحظة الزلزال، يُنظر: زعيتر، **بواكير**، ص 19–20.

(36) كتب دروزة عن هذه اللحظات: "خرجنا نحن أيضًا من بيتنا، ونمنا ليلتين مع سائر أُسر الأسرة والجيران في بستان مجاور لنا كان فيه دباغة، ثم انتقلت أنا وأسرتي الخاصة وأسرة أخي إلى مدرسة النجاح، حيث كان الوقت عطلة صيف، وكان القسم الداخلي خاليًا": دروزة، مج 1، ص 618. أما زعيتر فكتب إلى محمد علي الطاهر: "في لحظة انقلبت الشوارع إلى مقابر، فما كنت ترى إلا الأحجار تتبعثر مصبوغة بدماء الناس، وأصوات الاستغاثة تتصاعد في كل مكان ولا من مغيث، وكيف يتسنى لأحد في تلك الهنيهة المفزعة أن يفكر في غير التجاء؟ وقد خرجت النساء من خدورهن إلى البراري، وذهلت كل مرضع عن رضيعها، =

لا نعرف الكثير عن كنعان خلال أعوام الاستعمار البريطاني لفلسطين، إذ لم يترك شيئًا عن هذه المرحلة، خصوصًا عن أعوام ثورة أهل فلسطين الكبرى (1936–1939) التي احتلت فيها نابلس حيزًا كبيرًا. لكن يوميات أكرم زعيتر، أحد أبرز القيادات الفلسطينية الشبابية، والقائد في حزب الاستقلال، ورفيق مقاعد الدراسة، حفظت بعض نشاط كنعان في هذه المرحلة، فقد دوّن زعيتر في يومياته، بتاريخ 19 نيسان/ أبريل 1936، حديثًا عن الأجواء العامة التي كانت تعيشها نابلس آنذاك، فكتب: "في طريق عودتي إلى البيت، استوقفني الكثيرون وهم يتساءلون 'إلى متى الصبر؟'، والشائعات أن اليهود هجموا من تل أبيب على إخواننا في يافا، وأن كثيرًا سقطوا قتلى وجرحى".

في هذه الأجواء، تلقى زعيتر اتصالًا هاتفيًا من أحمد الشكعة يسأله: "هل علمت ماذا في يافا؟ هناك مذبحة، فماذا فكّرت؟"، أجاب زعيتر: "الرأي أن ندعو فورًا بعض الإخوان للاجتماع والمذاكرة"[37]. رد الشكعة: "أرى أن يكون اجتماعًا يمثّل الوجوه والتجار والشبان، ويُعقد في ناديكم"، أي نادي الاتحاد الرياضي الذي كان يديره ممدوح أحمد السخن (؟ –1974)، أحد المشرفين على بواكير العمل الثوري المسلح في المدينة، فردّ زعيتر: "يجب أن يسبق الاجتماعَ الكبير في النادي، اجتماعٌ مختصر نعقده في مصبنتك". إثر ذلك، عُقد اجتماع في مصبنة أحمد الشكعة، وكان كنعان من بين الحاضرين[38]، لكن حضوره، كما يدوّن زعيتر، كان من غير مشاركة وبالصدفة، مع عادل الشكعة ومحيي الدين المصري.

= فكأن القيامة قد قامت وانتصب الميزان، وها أنا أكتب هذه الرسالة في الخلاء بعد منتصف الليل، وضجيج الخائفين يملأ الفضاء، وكلنا خائف مذعور": "وصف لحدوث النكبة"، **الشورى**، 21/ 7/ 1927، ص 1. ويُنظر أيضًا: "تفصيلات عن النكبة – نابلس في 19 يوليو"، **الشورى**، 28/ 7/ 1927، ص 2؛ "كيف حال المدينة المنكوبة، نابلس في 20 يوليو"، **الشورى**، 4/ 8/ 1927، ص 4.

(37) أكرم زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980)، ص 60. وعن الاتصالات المبكرة بين زعيتر الشكعة، يُنظر: النمر، مج 3، ص 222–223.

(38) ضم الحضور كلًا من: رئيس بلدية نابلس سليمان عبد الرزاق طوقان، وعادل زعيتر، وعبد اللطيف صلاح، وفريد عنبتاوي، ومصطفى بشناق، وأحمد الشكعة، وطاهر المصري، والشباب: واصف كمال، وممدوح السخن، وحكمت المصري، وأكرم زعيتر: زعيتر، **الحركة**، ص 60.

كان هذا الاجتماع مصيريًا، إذ أُقرّت فيه ما يسميها زعيتر "مبادئ العمل الثوري"، وكان على رأسها أن "تتولى نابلس قيادة الحركة الوطنية على أساس قومي لا حزبي، والحركة مستقلة في جميع إجراءاتها عن الأحزاب". وفي مؤشر على المسار الذي أتت الثورة تتويجًا له، أي اعتبار بريطانيا واستعمارها رأس الداء وأساس البلاء، تحدثت النقطة الثانية عن وجوب توجيه القضية توجيهًا صحيحًا باتجاه المقاومة ضد الإنكليز أولًا باعتبارهم أساس البلاء، ولا يجوز أن تنصرف القضية إلى مقاومة الصهيونية وحدها[39].

كما أكد الميثاق ضرورة التنظيم، وأول بوادره تأليف لجنة قومية لها الصلاحية المطلقة في تنظيم نابلس ولوائها، بحيث يُجنَّد الجميع لخدمة القضية الوطنية. وبعد إقرار الحاضرين تلك المبادئ، تقرر إعلان الإضراب العام في نابلس، ودعوة سائر مدن فلسطين إلى الإضراب حتى تُلبّى المطالب الوطنية، وأن تكون بادرة الاحتلال الدالّة على حسن النية، وقفه الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. إثر هذه اللحظة بدأ الإضراب الكبير الذي قادته في المدينة لجنة قومية مختارة[40].

ستتصاعد الأحداث يومًا بعد يوم، إلى أن يدوّن زعيتر في يومياته ليوم الجمعة 22 أيار/ مايو 1936 أنه بينما كان يهمّ بدخول فندق فلسطين للقاء وفد من المسيحيين الأرثوذكس، إذ بفتًى أتاه راكضًا وقال: "إن وفود قرى المشاريق قد جمعت جموعها للقدوم إلى نابلس، وبينما هي في طريقها إلى مدينة نابلس جاءها رسول من نابلس يقول لها: 'إن أكرم زعيتر لا يرى مصلحة عامة في قدومها إلى المدينة'، فتوقفت عن المسير، وأرسلتني لأستعلم منك الحقيقية". قرر زعيتر دعوة القادمين إلى المدينة، وتوجه إلى مصبنة الشكعة من جديد، استعدادًا لاستقبالهم، إلى أن أتاه رسول جديد يخبره أن الوفود قادمة بسلاحها، فركب أكرم سيارة خاصة رفقة حمدي كنعان وتوجّها إلى حوارة، وحال وصولهما إلى الثكنة العسكرية في طرف المدينة الشرقي – وهي

(39) المرجع نفسه، ص 60–61.

(40) المرجع نفسه، ص 61–62. وضمت اللجنة القومية في نابلس في عضويتها كلًا من: عبد اللطيف صلاح، وفريد عنبتاوي، وأحمد الشكعة، وواصف كمال، وحكمت المصري، وأكرم زعيتر (أمين سر اللجنة): المرجع نفسه، ص 62. وللمزيد عن هذا المؤتمر، يُنظر: "وقائع الاجتماع الوطني في نابلس"، و"القرارات الصادرة عن الاجتماع الأول للجنة القومية في نابلس إلى الأمة"، و"البيان الأول من اللجنة القومية في نابلس إلى الأمة"، و"البيان الثاني من اللجنة القومية في نابلس إلى الأمة"، في: الحوت، **وثائق**، ص 409–411.

الثكنة ذاتها التي ستعسكر فيها قوات الاحتلال لاحقًا في حرب حزيران/ يونيو 1967- سُدّت الطريق أمامهما واستُوقفت السيارة. وعن هذه الحادثة يقول زعيتر إن أحد الجنود البريطانيين قال بصوت غليظ له ولكنعان: "انزلا"، فسأل زعيتر: "لماذا؟"، فأجاب: "لتفتيشكما، ولنرى إذا كنتما تحملان سلاحًا"، فكان رد زعيتر، من دون تفكير، أن قال لحمدي: "لا تنزل"، وقال للجنود: "لن أنزل، ولن نسمح لكما بتفتيشنا، مع توكيدنا أننا لا نحمل شيئًا ممنوعًا"[41].

بعد أخذ وردّ، نقل الجنود كنعان وزعيتر إلى دائرة البوليس، وأتى ضابط البوليس العربي نبيه ناصر طالبًا منهما الإذن بالتفتيش، فرُفض طلبه، وبعد قليل عاد إليهما قائلًا: "لقد افترضت أنني فتشتكما، تفضلا مع السلامة"، لكن زعيتر رفض ذلك، رد ناصر مرتبكًا: "مع السلامة، افعلوا ما تريدون". استقلّا السيارة ووصلا إلى موكب القرويين الآتي إلى نابلس بين بلاطة وحوارة. اصطحب زعيتر وكنعان الحاضرين إلى المدينة بعد إخفاء سلاحهم، لكن حال عودتهما كانت الجماهير تتظاهر متجهة نحو دائرة البوليس لاعتقادها أن زعيتر معتقل. انتهت المظاهرة بخطبة لزعيتر قال فيها: "هناك، أمام إصرارنا واندفاعكم نحو الدائرة، تركونا من دون تفتيش، فباتحادكم وقوتكم واندفاعكم نزلوا عند إرادتنا، وكانت كلمة الشعب هي العليا"[42].

انتهى حضور كنعان في يوميات زعيتر، لكنه حضر في غير مشهد، في مذكرات قيادي نابلسي آخر كان من أبرز القيادات المؤسسة لحزب الاستقلال، وأحد أبرز قادة الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939)، هو "محمد عزة" دروزة، إذ دوّن في مسوّدات بعض دفاتر مذكراته ويومياته قائمة بأسماء معظم معتقلي سجن صرفند الذي احتل حمدي كنعان فيها الرقم 31[43] إلى جوار عدد من الشخصيات النابلسية الأخرى. أما الحضور الثاني لكنعان في نصوص دروزة فكان مغايرًا، إذ دوّن أن أخبار نابلس أبرزت نشاطًا لحمدي كنعان في نابلس يحاول فيه أن يسد فراغ سليمان عبد الرازق طوقان (1890-1958) وأحمد الشكعة اللذَين غادرا المدينة من قبل[44].

(41) زعيتر، **الحركة**، ص 107.
(42) المرجع نفسه، ص 107-108.
(43) دروزة، مج 2، ص 74.
(44) المرجع نفسه، مج 3، ص 813.

هذا الحضور المغاير لكنعان، كما الحضور المغاير لأحمد الشكعة الذي كان أحد أعمدة اللجنة القومية الأولى والشخصيات الناشطة في اللحظات الأولى من الثورة الفلسطينية الكبرى، دفع دروزة للكتابة مستطردًا فيما دوّنه سابقًا في دفاتره القديمة، فربط مواقف كنعان السياسية، الذي كان تلميذًا في مدرسة النجاح خلال تولي دروزة إدارتها، بمواقف صهره أحمد الشكعة، خصوصًا أن كنعان كان خلال هذه السنوات مديرًا لأعمال صهره الشكعة. ويضيف دروزة أنه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وعودته إلى دمشق، قدم الشكعة وطوقان إلى المدينة، وكان لقاء تصافٍ، فتبدل إثر ذلك الحال مع كنعان من عداء إلى صفاء. وختم دروزة استطراده بالقول: "أخذ {كنعان} ينضج حينما تقدم به السن ويبرز حتى صار في الخمسينات وما بعدها أحد زعماء نابلس والضفة الغربية، وصار رئيسًا لبلدية نابلس، وصار له شعبية، وكان له نشاطات وخدمات وطنية وبلدية متنوعة"[45].

الصورة (مدخل 1-3)

دروزة في ضيافة كنعان في منتزه العائلات في نابلس

الواقف حمدي كنعان، ومن اليمين جلوسًا: الدكتور صدقي ملحس، والدكتور مصطفى بشناق، و"محمد عزة" دروزة، وأكرم زعيتر. المصدر: مجموعة كنعان الشخصية، التُقطت بتاريخ 4/ 9/ 1964، تصوير برهان شحروري.

(45) المرجع نفسه.

تُظهر مذكرات دروزة المستلّة من يومياته موقفًا آنيًّا مغايرًا – جزئيًّا – للموقف المسجل في مذكراته اللاحقة، فبعد تهديد طوقان والشكعة، ثم إطلاق النار على منزليهما مساء 12 كانون الأول/ ديسمبر 1937، ينقل دروزة خبر صحيفة **فلسطين** عن قدوم وفود عديدة، واستعلامات كثيرة وردت حول بيت طوقان، مهنّئة بالسلامة ومستنكرة ما حدث لما له من مواقف وطنية مشرفة، ويعلق عليه قائلًا: "ويثير أسفنا أنه بينما كان لسليمان فعلًا مواقف مشرّفة في الإضراب وثورة الإضراب لأنه اندمج في الجو العام الوطني، ويحاول الثائرون الآن اغتياله بسبب تبدله عن هذا الجو هذه المرة"[46]. تُرى ما هي التبدلات التي حصلت للشكعة وطوقان ومنعت دروزة أن يندد مباشرة بفعل إطلاق النار على منزليهما؟

في حالات أخرى مغايرة كان دروزة يعلن شجبه الصريح، كما في حادثة الهجوم على بيارة الشيخ عبد القادر المظفر (1880–1949)، فقد علّق آنذاك: "هذا لا يبرَّر، وبالنسبة للمظفر خاصة، فقد يكون اغتنى وانقطع عن العمل الوطني لأعذار واهية انتحلها لنفسه بعد أن ظل في هذا الميدان أكثر من ثمانية عشر عامًا، وكان جريئًا قوي المبدأ، وهو ممسك بطبعه قبل أن يكون ميسورًا وظل على هذا الطبع، ومن المحتمل أن يكون هذا وذاك مما أثار النقمة عليه وجعل بعض المتحمسين يعتدون على بيارته، ولكن هذا غير مبرَّر، لأن في ذلك تسوية بينه وبين الخائنين والمخامرين، وهو ليس ذلك حتمًا"، وأضاف: "آلمني العدوان على بيارته على كل حال، لأن فيه [تنكرًا] لرجل وطني جمّ النشاط، جريء المواقف، وقد رجوت بعض الإخوان أن يبذلوا جهدهم مع من يعرفونهم لعدم تكرار مثل هذا العدوان"[47].

---

(46) المرجع نفسه، مج 3، ص 146. وعن إطلاق النار على منزل طوقان والشكعة، يُنظر: "رصاص على بيت سليمان بك طوقان"، **الجامعة الإسلامية**، 14/ 12/ 1937، ص 1؛ "النار على بيت سليمان بك طوقان: تفصيل الحادث واستنكاره"، **فلسطين**، 14/ 12/ 1937، ص 1؛ "وفود القرى والبلاد تهرع إلى نابلس"، **فلسطين**، 17/ 12/ 1937، ص 2. ويُنظر خطاب طوقان وفخري النشاشيبي في الوفود: **فلسطين**، 18/ 12/ 1937، ص 2؛ **الجامعة الإسلامية**، 19/ 12/ 1937، ص 4. وعقّب محمد علي الطاهر على الحادثة في صحيفته فقال: "فنحن نهني سليمان بك بنجاته وسلامة أهله من رصاص المجرمين، ونسخط عليهم مع الأمة أشد السخط، وإننا نرجو من بعض الأشخاص الحزبيين أن لا يتخذوا من هذه الجناية وسيلة لشفاء حزازيتهم، لأن سليمان بك هو للجميع وليس لهم": "اعتداء مستنكر"، **الشباب**، 22/ 12/ 1937، ص 1.

(47) دروزة، مج 3، ص 777. لكن لا بد من الإشارة إلى أن دروزة كتب في مذكراته – المؤسسة على دفاتر يومياته – عن وصول خبر إليه من خلال أكرم زعيتر، حول وجود مؤامرة منسقة لاغتياله نظمها طوقان =

في المذكرات المتأخرة، يورد دروزة ملخصًا للتحول من الانسجام المبكر إلى المعارضة، فيقول إن هذا التحول ابتدأ مطلع الثلاثينيات بعد صفاء العلاقة بين الحاج أمين وفريق دروزة، مقابل تقوية الانسجام بين طوقان وفريقه مع راغب النشاشيبي، فنأوا معه عن المؤتمر الإسلامي المنعقد في عام 1931، وبعد ذلك اندمجوا معه في حزب الدفاع الذي كان خطه، وفقًا لدروزة، "مناقضًا لخطنا الوطني"، فكان إثر ذلك شيء من الفتور على خلاف الوفاق السابق، مع بقاء شيء من الانسجام الذي استمر إلى أن انفجرت المرحلة الثانية من الثورة، حيث كان النشاشيبي ضدها، وكان دروزة ورفاقه يعملون، إلى جوار الحاج أمين الحسيني، على تأجيجها من دمشق وبيروت. ويعلل دروزة – جزئيًا – هجمة الثوار على طوقان بأنها نابعة من حقدهم على راغب وجماعته لوقوفهم ضد الثورة علنًا وتحريضهم عليها، فكان أن نُصب كمين لطوقان – سيُشار إليه لاحقًا – كاد يُقتل فيه، واتُهم دروزة بتدبيره[48].

لا تتوافر بين يدي الباحث مصادر مغايرة تعرض وجهة نظر طوقان والشكعة[49]،

= والشكعة وعبد الرحيم النابلسي وطاهر المصري. وعقّب دروزة على الخبر مشككًا في صحته، ثم أضاف: "وهذا الخاطر لا يعني أن سليمان وأحمد غير جادَّين بإيقاع أذًى عليّ وعلى غيري من العاملين في الحركة الثورية، لأنهم اعتقدوا سويًا أنني أنا الذي أرسل من يحاول اغتيالهم، وهذا زور وكذب والله شاهد": المرجع نفسه، مج 3، ص 203–204.

(48) المرجع نفسه، مج 1، ص 599.

(49) عندما كتب بسام أحمد الشكعة (1930–2019) عن ثورة 1936–1939، لم يتطرق إلى تجربة والده الشخصية، بل قدّم قراءة عامة عن الحدث، تبرز فيها شخصيته السياسية المتأثرة بالانتماء الحزبي. كتب الشكعة: "في سنة 1936، وصلت المواجهة إلى ذروتها، فعمّت وحدة الشعب وقياداته وأحزابه بإطار الهيئة العربية العليا، فتابعت إضراب الستة شهور وتفجر الثورة، وكانت ثورة شاملة هيأ لها الإضراب العام الإسناد الشعبي، بل المشاركة والمبادرة. وضمن الظروف المحيطة [التي] لم تسمح بدعم فعلي عربي شعبي إلا في حدود المتاح والإمكانيات، إن كان للثورة أو من الثورة، في الوقت الذي كانت فيه المشاركة الرسمية الفعلية من المحيط سلبية، مما سمح بالتأثيرات السلبية للتفاعل الرسمي مع القيادة السياسية للثورة، فقد ظل التعامل مع [مسؤوليات] الاحتلال الانتدابية من خلال التفاوض والاقتراحات والحلول، مما أثر على وحدة القيادة عندما خرجت فئات تقبل ببعض الحلول من الهيئة العربية العليا، وشكّلت معارضة لها سرعان ما لقيت تأييدًا من سلطات عربية وحماية بريطانية لها. ولفقدان الثورة القيادة العسكرية المركزية المطلوبة، والقيادة السياسية الثورية المطلوبة، بارتباطها بالشعب وجماهيره وثورته، خاصة بعد انسحاب القائد فوزي القاوقجي، وخروج القيادة السياسية من فلسطين، نتيجة ملاحقة الاحتلال لها، بدأت قوات الثورة في التفكك مع تزايد الانقسامات في صفوف المجتمع الفلسطيني": بسام الشكعة، "برنامج النضال الوطني الفلسطيني منذ الثورة 1936 وحتى الآن (متغيرات وتنازلات)"، مسوّدة غير مؤرخة لكلمة أُلقيت في مجمع النقابات المهنية ورابطة الكتاب الأردنيين، أرشيف بسام الشكعة الشخصي، ص 3. أما مذكراته =

وهما من أركان حزب الدفاع الذي كان فخري النشاشيبي (1899–1941) أحد قادته، وشارك لاحقًا مع فصائل محلية القوات الاستعمارية في قمع الثورة في غير بقعة من فلسطين.

كما أن كنعان لم يتطرق إلى هذه الفترة إلا عرَضًا في مقدمة المسودة الثانية من مذكراته التي قرر كما يظهر من مقدمة المسودة الثالثة تجاوزها. كتب كنعان مبررًا أحد دوافعه للتدوين أن الظروف التي عاشها في حياته فرضت عليه أن يعيش مرحلتين قاسيتين من أدوار المعركة مع الصهيونية. وأضاف متحدثًا عما أسماه ثورة 1936، مميزًا بشكل ضمني بين أحداثها وأحداث العام 1936: "وكانت الأولى وأنا في مقتبل العمر أثناء ثورة 1938، وقد عشت مراحلها في أقسى الظروف لتلك الثورة التي قامت على الغدر والتسلط، ولها الفضل الأول في تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني وتحكم الفردية والغوغائية، وكان عليّ أن أكتب ذكريات أليمة، ولكن عدم ثقتي من أيامي التي سأعيش لم يترك لي مجالًا للتفكير في كتابة مذكراتها، ومع أن الخوف لم يجد سبيلًا إلى نفسي في تلك المحنة التي تُعتبَر من أعنف ما يمر بالشعوب، إلا أني كنت أعيش ليومي غير آبه لما يأتي به الغد".

هذا الغياب لوجهة نظر تفصيلية عوّضه جزئيًا إحسان النمر في مجلده الأخير من **تاريخ جبل نابلس**، إذ دوّن شهادة يبدؤها بانتقاد إدارة الحاج أمين الحسيني واللجنة المشكّلة في بيروت لعدم دعوتها فوزي القاوقجي لقيادة الثورة في مرحلتها الثانية، فالقاوقجي، وفقًا للنمر، كان يسير باعتدال بين الفريقين، "فعُدَّ هذا ذنب لا يُغتفر، فأداروها مجلسية حزبية، متهمين الدفاعيين بالموافقة على التقسيم، الأمر الذي كان يُعتبر خيانة، ثم ندموا"[50]. وأضاف في موضع آخر: "ثورة سنة 1936 لم يُقتل من

= الشفوية المحفوظة في أرشيفه الشخصي، فاقتصرت على مشاهدات محدودة بسبب صغر سنه لحظة الثورة، فتحدث عن الصراعات الحزبية في المدينة، وعن مساندة والده للثوار ماديًا ومعنويًا، ومحاولة اغتيال سليمان طوقان بالقرب من طلوزة.

(50) إحسان النمر، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء، الجزء الرابع: أحوال المئة سنة الماضية** (نابلس: مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية بنابلس، 1975)، ص 6–7. أما القاوقجي ودوره في ثورة 1936–1939، فما يزال موضع جدل. للمزيد يُنظر:

Laila Parsons, *The Commander: Fawzi Al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence 1914-1948* (New York: Hill and Wang, 2016), pp. 107-139.

ويمكن المقارنة مع شهادة مضادة في: ذو الكفل عبد اللطيف، **قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية إلى حرب 1948** (عمّان: دار سندباد للنشر، 2000)، ص 45–50.

قوّادها أحد، ولم يُقتل من ثوارها إلا القليل، لأن الشعب والحزبيين كانوا معهم يساندوهم ويسهرون عليهم، وكانت قيادتهم حريصة على أن لا تساعد الفوضى، ولكن ثورة سنة 1938 [كانت] تُدار من الخارج، من لجنة دمشق، ولما بلغتهم [أخبار] الفوضى قالوا إن الثورة تحتاج إلى فوضى"[51].

يواصل النمر هجومه، ويحاول، قبل سرده وقائع التحولات وأثرها في المدينة، تفسير الموقف الجديد لقادة دمشق، فكتب: "نفرت نابلس من الوضع، فلم تسمح بسكن أحد من المهاجرين الأجانب، وحافظت على أراضيها وأرض القضاء فلم تفرّط بشبر واحد، بل بالعكس، أنقذت أراضيَ كثيرة في سهلَي طولكرم وبيسان [...]، وحملت حملة شعواء على باعة الأراضي والسماسرة، وكانت تضطرب وتثور كلما حصل اضطراب في البلاد". هذا الموقف من نابلس، كان برأيه "جرمًا لا يُغتفر بنظر السماسرة وباعة الأراضي وزعامة القدس التي كانت تخشى أن تأخذ نابلس الزعامة منها". وفي مواضع أخرى، يهاجم النمر أيضًا من يسميهم صعاليك القرى الذين بدؤوا يفدون إلى المدينة ويسيئون إليها. لكنه في الوقت ذاته، يبيّن بذل قيادات الثورة، وجلهم من القرى، جهدًا لإعادة الهدوء إلى المدينة، ومنع التسلط وحوادث السرقة.

---

(51) ثمة عوامل أكثر أهمية مما ورد هنا سبّبت الفارق في حجم الخسائر، وإن كان الشرخ الذي أحدثته "فصائل السلام" عاملًا حاضرًا، ولعل أبرز تلك الأسباب توسّع الثورة في المرحلة الثانية، وحجم العنف الاستعماري المستخدم فيها. عن العنف الاستعماري في هذه المرحلة، يُنظر: **فلسطين الشهيدة: سجل مصور لبعض فظائع الإنكليز واليهود 1921–1938** (القاهرة: [د. ن]، [د. ت])؛

Matthew Hughes, *Britain's Pacification of Palestine: The British Army, The Colonial State, and the Arab Revolt, 1936-1939* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

وعن لجنة دمشق ودورها من وجهة نظر أحد أركانها، يُنظر: دروزة، مج 2، ص. وعن الاغتيالات السياسية التي شهدتها الثورة وأثرها، يُنظر: سميح حمودة، **صوت من القدس: المجاهد داود صالح الحسيني من خلال مذكراته وأوراقه** (رام الله: دار الفكر، 2015)، ص 101–150. وعن مواقف بعض الثوار من أداء اللجنة وتأثيرات عوامل مختلفة فيها، كالصراعات المناطقية والجهوية في الثورة عمومًا، يُنظر: سعيد شقير، **حياة ثائر حياة المؤلف خلال ثمانين عامًا، طريق طويل كله أشواك** (ساو باولو [البرازيل]: منشورات المؤلف، 1993).

أما "فصائل السلام" فتأسست على هيئة تشكيلات مناطقية لأسباب مختلفة، تحولت لذراع أمني للسلطات الاستعمارية البريطانية غايته قمع الثورة. وللمزيد عن فعلها، إضافة إلى ما قدّم النمر، يُنظر من وجهة نظر مضادة: دروزة، مج 3، ص 831–883. ويقارَن بـ: مصطفى كبها ونمر سرحان، **سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936–1939** (كفر قرع: دار الهدى، 2009)، ص 77–88؛

Matthew Hughes, "Palestinian Collaboration with the British: The Peace Bands and the Arab Revolt in Palestine, 1936-9," *Journal of Contemporary History*, vol. 51, issue. 2 (2015), pp. 1-25.

في أجواء الاضطراب هذه، تحدّث النمر عن ضغطه ليلة 7 آذار/ مارس 1938 على سليمان طوقان وأحمد الشكعة لحل حزب الدفاع، وعندما رفضا طلب منهما الخروج من المدينة، فخرج بعد ذلك طوقان والشكعة رفقة أحمد عبد الرحمن من قرية إماتين المجاورة[52]، وقبل مغادرته بأيام قليلة، وكّل أحمد الشكعة في 23 حزيران/ يونيو 1938 حمدي كنعان لينوب عنه ويمثّله في إدارة شؤونه التجارية والمالية والرسمية لدى جميع الدوائر الرسمية على اختلافها في جميع أنحاء فلسطين وخارجها، ولدى المحاكم النظامية والشرعية على اختلاف درجاتها وأنواعها، ودائرة الإجراء والطابو والمالية والمحاسبة والجمارك وسائر دوائر حكومة فلسطين. كما فوّض الشكعة كنعان بموجب الوكالة بالقبض والصرف والتوقيع باسمه على جميع المعاملات المالية، وتنظيم الاتفاقيات بشأن أمواله المنقولة وغير المنقولة، وفوّضه في جميع معاملات البنوك العربية والزراعية[53].

خلال فترة الغياب القصيرة، أشار النمر إلى تعاون بعض جهات المدينة مع سلطات الاستعمار البريطاني ضد الثوار في غير موضع، وسجل عن لحظات نهاية الثورة، بأنه بعد تقتير مركز الشام على الثوار، بدؤوا يتسلطون على أهل نابلس يطلبون المال والمؤن، وكتب: "صار قُوّاد الفصايل يطلبون أيضًا، ولما أفلت الزمام من أيديهم، تعرضت البلد لفوضى كبيرة وضنك شديد، وعجز الأسطة [مصطفى الأسطة أحد الثوار الذين أرسلهم القائد عبد الرحيم الحاج محمد إلى نابلس، وتولى مسؤولية حرسها] عن ردهم، ثم قُتل هو وجماعته. واستمر الضنك إلى أن رجع سليمان بك و[صديقاه المذكوران]، وشُكّلت فصايل سلام لنابلس وقضاها، وأصبح يجري القبض على كل من يُتهم بالانتماء للثورة، وقُضي على فصيل ثوار نابلس"[54].

---

(52) غادر طوقان والشكعة فلسطين عبر مطار اللد في نهاية حزيران/ يونيو 1938، وكانت وجهتهما إلى أوروبا، يُنظر: **هآرتس**، 1/ 7/ 1938، ص 1 [بالعبرية].

(53) "وكالة أحمد محمد حسن الشكعة إلى حمدي الحاج طاهر كنعان"، 23/ 6/ 1938، محفوظة في أوراق كنعان الشخصية.

(54) يُنظر عن ثورة 1936–1939 في نابلس، كما شهدها بعض أهل المدينة، كما في نموذج فدوى طوقان: فدوى طوقان، **رحلة جبلية رحلة صعبة: سيرة ذاتية**، ط 3 (عمّان: دار الشروق، 1988)، ص 101–113.

كان أثر الصراع السياسي واضحًا وجليًّا في ما قدمه النمر ودروزة، ولعل طغيان هذا الأثر دفع النمر لتجاوز مسألة أن لجنة دمشق التي سماها كان فيها، وفقًا لما أورده، أبناء نابلس "محمد عزة" و"محمد علي" دروزة، إضافة إلى أكرم زعيتر وواصف كمال، والأربعة لم يكونوا من أبناء الحزب العربي، وإنما معظمهم من قيادات حزب الاستقلال، وممن انتُقدوا سابقًا لنشاطهم في الثورة، وانتقدوا لاحقًا الحاج محمد أمين الحسيني.

بخلاف توتر العلاقة الظاهر في أكثر من موضع في مذكرات دروزة، وتوتر لغة النمر وحِدّتها بين دروزة من جهة، وطوقان والشكعة من جهة أخرى خلال المرحلة الثانية من الثورة، فإن العلاقة لم تكن بمستوى التوتر ذاته في يوميات زعيتر، ففي أثناء مرور زعيتر في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1938، في أثينا، تحدث عن وجود طوقان والشكعة لخشيتهما من مكروه يصيبهما في فلسطين، ولم يعقب سلبيًا عليهما.

والمؤشر الأبرز على عدم جذرية الخلاف بين طوقان والشكعة من جهة وزعيتر ورفاقه من جهة أخرى، رسالة أرسلها الأسير صبحي سعيد الخضرا (1895–1954) من سجنه، ووصلت إلى عادل زعيتر، فدوّنها أكرم في يومية 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1939، لخّص فيها الخضرا الأوضاع في فلسطين فقال: "الموقف في فلسطين ما زال معقدًا، إخواننا بعيدون عن البلاد، ومئات أخرى في المعتقلات، وحالة البلاد لا تزال شاذة قلقة. ومن جهة أخرى، فإن فرصة الحرب العامة التي كان يجب أن نستفيد منها لتقوية ودعم حقوقنا تكاد تضيع علينا ويغتنمها الصهيونيون وحدهم".

تابع الخضرا في رسالته محاولًا الإجابة عن سؤال "كيف السبيل إلى الخروج من المأزق الراهن؟"، وكان جوابه: "يظهر أنه لا يُرجى شيء من الخارج، وخروج الرجل [يعني المفتي أمين الحسيني] على الشكل الذي جرى يدل على تعقّد الأمور، فهل تقف البلاد مكتوفة الأيدي تجاه هذه الأزمة أم ماذا؟"، وأضاف: "في اعتقادي أنكم في نابلس خاصة يمكنكم أن تعملوا كثيرًا وتقودوا الموقف وتنقذوا البلاد من مشاكلها الحاضرة"[55].

(55) زعيتر، **الحركة**، ص 610.

كتب الخضرا: "العمل الذي أتصوره: أن يتقدم نخبة من وجهائكم بلا تمييز بين حزب وحزب، وجماعة وجماعة، كالمفتي مثلًا [مفتي نابلس الشيخ محمد تفاحة]، وسليمان بك [طوقان]، وأبو فائق [فريد عنبتاوي]، والحاج نمر أفندي [النابلسي]، وحضرتكم [أي عادل زعيتر]، وقاسم آغا النمر، وخالكم [الحاج نمر حماد]، وأبو عادل [أحمد الشكعة]، تتقدمون ببيان باسم مدينة نابلس إلى البلاد بطلب الهدوء والسكينة، والوقوف صفًا واحدًا أمام ظروف الحرب الحاضرة، ثم تسعَون لإعادة إخوانكم المبعدين وإطلاق سراح المعتقلين والتفريج عن المحكومين، وهل الأحوال في نابلس تسمح بمثل هذا العمل الضروري جدًا؟ إنكم تنقذون البلاد به من مشاكل كثيرة"[56].

لم تنتهِ رسالة الخضرا، لكنها أكدت، كما هو مبيّن، على ضرورة التنسيق مع طوقان والشكعة من جديد، في إشارة جديدة لتمايز معارضة نابلس عن المعارضات الأخرى، ويؤكد ذلك دروزة الذي كتب عن تفاصيل مصالحته مع الشكعة وطوقان، فأشار إلى أنه في عام 1945، وخلال وجوده مطارَدًا في دمشق، حضر طوقان والشكعة وطاهر درويش المصري (1859–1944)، وولده حكمت – الذي كان طالبًا كما كنعان لدى دروزة في مدرسة النجاح – إلى المدينة، فدعاهم مدير فرع بنك الأمة في دمشق، شوقي العبوشي، إلى الغداء فتصافحوا وتصالحوا. وفي منزل دروزة لاحقًا، نفى دروزة للحاضرين أي صلة له بالكمين الذي استهدف طوقان أو بقطع شجر بياراتهم، وأضاف: "وهو صدق كل الصدق، وحق كل الحق، بأنه لم يكن لي يد ولا علم مسبق بأي عدوان وقع عليهم، أو على غيرهم من رجال المعارضة، وأني كنت أشجب ذلك أشد الشجب حينما بلغني شيء منه، خلافًا لما وقر في أذهانهم وأذهان زملائهم، وعاد الصفاء بيننا"[57].

بعيدًا عن هذه الصفحة من تاريخ فلسطين المستعمَرة التي لم تعالَج تفاصيلُها وحيثياتها بشكل جليّ حتى الآن، واقتصرت على بحوث جزئية – أُشير إلى بعضها سابقًا – تنتهي في كثير من الأحيان بتعميمات متجاوزة لخصوصيات المناطق

(56) المرجع نفسه.
(57) دروزة، مج 1، ص 599.

والمراحل الزمنية، بعيدًا عن كل ذلك، لا تفاصيل إضافية عن نشاط كنعان السياسي غير هذه الجزئيات المحدودة، ولا تفاصيل أخرى عن نشاطه في الفترة التالية لنهاية ثورة (1936–1939)، والسابقة لحرب (1947–1949). أما اقتصاديًا، فإن المعلومات القليلة أن كنعان استقل خلال هذه الفترة ليؤسس مشروعه الاقتصادي الخاص، فافتتح محلًا لتجارة الحبوب والزيوت بالجملة في منطقة الشويترة في نابلس. وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وفي ضوء نمو السوق المتسارع في إمارة شرق الأردن، انتقل كنعان وأسرته الصغيرة إلى عمّان مؤسسًا لتجارة جملة في سوق السكّر.

الصورة (مدخل 1–4)

صورة جوية لنابلس من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي

المصدر: أرشيف ياد يتسحاق بن تسفي، التُقطت بتاريخ 11/ 1/ 1948، مصورها مجهول.

خلال الأعوام اللاحقة، وحتى مرحلة الاستعداد لجلاء المستعمر البريطاني عن فلسطين في أيار/ مايو 1948 والحرب المتوقعة مع المنظمات الصهيونية، تصدّر

طوقان في نابلس من جديد، كما الشكعة، متعاونين مع أركان الحركة الوطنية المختلفة، في هذه المحطة الجديدة من المعركة المستمرة، ضد المشاريع الاستعمارية؛ إذ شاركت نابلس، كما عموم مناطق فلسطين المختلفة، في الاستعداد للحظة الحرب المرتقبة، وإن كانت بعيدة عن مواقع الاستيطان الصهيوني الرئيسة التي تكثفت في المناطق الساحلية المتاخمة لنابلس وجبلها. استعدت المدينة بمصالحات عامة[58] انعكست في تمثيل شامل للجميع في اللجنة القومية المختارة[59]. وكانت هذه اللجنة من أبرز الهيئات العاملة في فلسطين، ولم يقتصر دورها على إدارة شؤون المدينة التي كانت موقعًا مهمًا للحشد العربي الذي ابتدأ أولًا بقوات المتطوعين المنضوية تحت

(58) قبل انتخاب اللجنة القومية في المدينة، تشكلت لجنة مصالحة أُطلق عليها اسم "لجنة الإخاء"، وجهت دعوة موقعة من حسن عرفات ووصفي عنبتاوي وأحمد طوقان وشريف صبوح وجمال القاسم لإقامة احتفال في كلية النجاح في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، لإزالة "آخر أثر من آثار الخلافات المحلية والمنازعات الداخلية، وتأليف لجنة قومية في المدينة". تحدث في المهرجان الشيخ عبد الحميد السائح، ثم تلاه رئيس بلدية نابلس سليمان طوقان الذي دعا في كلمته إلى نبذ الأحقاد والضغائن وإسدال الستار على الماضي، وفتح صفحة جديدة من تاريخ النضال العربي، ثم تحدث فائق عنبتاوي عن قيمة الشدائد في جمع الكلمة وتصفية النفوس، وأكد محمد العمد في كلمته على ضرورة الاعتماد على النفس، وتوثيق الروابط بين الأهل والأصدقاء وجميع طبقات الجمهور. يُنظر: "نابلس تحتفل بإزالة آخر أثر من خلافاتها"، **الوحدة**، 8/ 11/ 1947، ص 2؛ "نابلس تلبي نداء الوطن: تصافى النفوس وإسدال الستار على الماضي"، **الوحدة**، 9/ 11/ 1947، ص 2؛ "حيا الله نابلس العربية: عناق الإخوة في مهرجانها الوطني الكبير أمس"، **فلسطين**، 9/ 11/ 1947، ص 1؛ "مهرجان كبير لتوحيد الصفوف والتضامن: رجالات المدينة العربية يتعانقون ويسدلون الستار على الماضي"، **الدفاع**، 9/ 11/ 1947، ص 2. ويُنظر لاحقًا: "حديث رئيس بلدية نابلس لمراسل الديلي إكسبرس: لا انقسام، لا خلاف سياسي، بين عرب فلسطين"، **فلسطين**، 13/ 1/ 1948، ص 1.

(59) ضمن المبادرة التي أطلقتها الهيئة العربية العليا لتأسيس لجان قومية في عموم فلسطين، شكّلت نابلس لجنتها القومية بعد اجتماع عُقد في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1947 في مقر البلدية. وضم تشكيل اللجنة الأول: سليمان طوقان، وفريد عنبتاوي، وعبد الرحيم النابلسي، وأحمد الشكعة، وعبد الرحيم عنبتاوي، وحكمت المصري، ومحمد العمد، ومصطفى بشناق، وواصف عبد الهادي، وجميل السروري، وراضي قادري، وقدري طوقان، وسعيد كمال، ومدحت كمال، وتوفيق أحمد عرفات، وفيصل النابلسي، وسيف الدين زيد، وعبد القادر الصالح، وعادل الشكعة، وجمال القاسم، وحسني الخفش، وصبري النابلسي، ووجيه صوفان، وعبد القادر استيتية. واختير جمال القاسم سكرتيرًا للّجنة. يُنظر: "تأليف اللجنة القومية في نابلس يوم أمس"، **فلسطين**، 3/ 12/ 1947، ص 2؛ بهجت حسين صبري (إعداد)، **وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس: 1947–1949**، ج 1 (عمّان: الجامعة الأردنية – مركز الوثائق والمخطوطات؛ نابلس: جامعة النجاح الوطنية – مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، 1991)، ص 8–9؛ بهجت صبري (إعداد)، **اللجنة القومية العربية بنابلس: تشكيلها إنجازاتها وتقويمها 1947–1948م** (نابلس: جامعة النجاح الوطنية – مركز التوثيق والأبحاث، 1986).

ما اشتُهر بـ "جيش الإنقاذ"[60] ثم حضور الجيوش العربية الرسمية، حيث استقر أولًا جزء من الجيش العربي الأردني في المدينة[61]، قبل أن يستقر الجيش العراقي فيها بعد 21 أيار/ مايو 1948، ويعلن الحكم العسكري فيها إلى حين[62].

توضح الوثائق المختلفة أن دور اللجنة القومية تجاوز حدود المدينة، فقد ساهمت في دعم المجهود الحربي والمجتمعي المرافق لإسناد مناطق المواجهة الرئيسة. كما تطوع أبناء المدينة في المعارك الحربية في غير منطقة من فلسطين، فلنابلس وأهلها صِلات قائمة دائمة مع المدن الأخرى، خصوصًا الساحلية، كحيفا ويافا التي كان يسكنها عدد من الأسر النابلسية المعروفة، وكان ابن نابلس مصطفى رشيد الطاهر (1908–1981)، وشقيقه الشهيد فيصل، من أبرز الشخصيات التي تولّت الدفاع عنها[63]. وستستقبل نابلس لاحقًا، خصوصًا بين نيسان/ أبريل وأيار/

(60) يُنظر تفاعل المدينة الأول مع طلائع قوات المتطوعين العربية التي حضرت إلى المدينة في كانون الثاني/ يناير 1948، ووصف الاحتفالات في منازل سليمان طوقان ثم فائق عنبتاوي ثم راضي النابلسي في: "استقبال شعبي حافل للشباب في نابلس، الاستقبال ينقلب إلى مهرجانات وطنية رائعة تمضي فيها نابلس بأسرها"، **فلسطين**، 20/ 1/ 1948، ص 1؛ "وصول المناضلين العرب إلى نابلس"، **الشعب**، 22/ 1/ 1948، ص 1؛ "نابلس تستقبل 1500 ضيف"، **فلسطين**، 22/ 1/ 1948، ص 1.

(61) عُيّن الفريق إبراهيم هاشم، بموجب الأمر الملكي الصادر في 19 أيار/ مايو، 1948 حاكمًا عسكريًا عامًا لجميع المناطق في فلسطين التي يوجد فيها الجيش العربي الأردني، وأصدر إعلانه الأول من ديوانه في نابلس يوم 24 أيار/ مايو 1948: "إعلان رقم 1 صادر عن الحاكم العسكري العام الفريق إبراهيم باشا هاشم"، 24/ 5/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 2.

(62) عن تحركات القوات العراقية باتجاه نابلس، مساء 21 أيار/ مايو 1948، ومواقع استقرارها في نابلس وجبلها وعموم اللواء، يُنظر: خليل سعيد، **تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين 1948–1949**، ج 1 (بغداد: المطبعة العسكرية، 1966)، ص 107–115. وكانت أبرز معارك القوات العراقية في المنطقة معركتها في جنين التي أسهمت في حفظ المدينة وجوارها من الاحتلال. حول معركة جنين مطلع حزيران/ يونيو 1948، يُنظر: المرجع نفسه، ص 118–132. وللاطلاع على الرواية الصهيونية، يُنظر: **تاريخ حرب الاستقلال: رواية الحرب**، تقديم دافيد بن غوريون، ط 19 (تل أبيب: دار نشر معرخوت – جيش الدفاع الإسرائيلي، 1975)، ص 179–182 [بالعبرية]؛ تسادوك إشل (جمع وتحرير)، **لواء كارميلي خلال حرب الاستقلال** (تل أبيب: دار نشر معرخوت – جيش الدفاع الإسرائيلي، 1973)، ص 187–201 [بالعبرية]. وقد أعلن الجيش العراقي في 23 تموز/ يوليو 1948 تعيين الزعيم طاهر محمد الزبيدي حاكمًا عسكريًا عامًا للمناطق العاملة فيها الجيوش العراقية في فلسطين: ضابط الارتباط العراقي، "إعلان عسكري رقم 18"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 2.

(63) قدمت نابلس في أول أيام الاشتباك عددًا من الشهداء ممن هبّوا لنجدة مدن الاشتباك الأول، من ذلك مثلًا استشهاد فخري طاهر الحجاوي الذي كتبت صحيفة **الدفاع** بعد استشهاده: "يهرع فريق من شباب =

مايو 1948، آلاف اللاجئين، وسيشكل حضور هؤلاء إضافة مهمة ستعزز موقع المدينة الاقتصادي الذي سيتعزز أيضًا بسقوط معظم المدن الفلسطينية المركزية تحت الاحتلال مع نهاية الحرب بإعلان هدنة رودس في نيسان/ أبريل 1949 التي أفقدت نابلس أيضًا أراضيَ شاسعة في منطقة المثلث (نابلس – جنين – طولكرم).

خلال هذه المرحلة المهمة، حضر كنعان في وثائق الحرب، إذ كان عضوًا في لجنة الدفاع عن المدينة التي لم تدُم طويلًا كما يبدو[64]، لكن حضوره الأبرز كان بوصفه أحد تجار الجملة في المدينة، إذ كان كنعان قد عاد إلى مدينته مع نهاية الحرب الأولى موسعًا نشاطه التجاري. وأبرزت وثائق اللجنة القومية حضور كنعان القوي إلى جانب عدد من تجار الجملة في المدينة[65]، وأن تجارته تجاوزت المدينة خلال

= نابلس والقضاء إلى حيفا لنجدة إخوانهم هناك، وفي مقدمتهم المناضل السيد فخري طاهر الحجاوي، وبوصوله إلى حيفا، قام بالدفاع مع إخوانه مدة ثلاثة أيام مناضلًا حتى أُصيب بالمعركة فسقط، وكذلك المناضل السيد حسن عوض حسين من قرية بورين بقضاء نابلس، فأُصيب وأسلم روحه، وتبعه مناضل ثالث بجانبه، ويُدعى محمد يونس من قرية عرعرة بقضاء نابلس، فأُصيب بإصابة بليغة وأسلم روحه، وجاء رابع يُدعى الشيخ عبد الرحمن من قرية كفر قرع بقضاء نابلس، الذي ظل يقاوم حتى أجبره إخوانه المناضلون على الانسحاب، بعد أن أُصيب بعدة إصابات خطيرة، فنُقل حالًا إلى المستشفى الوطني بنابلس حيث أسلم الروح". يُنظر بقية الخبر وتفاصيل استقبال المدينة للشهداء في: "نابلس تفقد 4 مناضلين في معركة الشرف بحيفا"، **الدفاع**، 11/ 12/ 1947، ص 1. ويُنظر وصف تفاعل المدينة في جنازة الحجاوي: "مدينة نابلس تشيع أحد الضحايا"، **الشعب**، 12/ 12/ 1947، ص 4؛ "تشييع جنازات مناضلين في نابلس والناصرة"، **الدفاع**، 12/ 12/ 1947، ص 1. ويُنظر أيضًا احتفاء المدينة بالشهيدين عبد الحميد بشير الشيخ ياسين وجودت سعيد سلامة الذي سقط في معارك حيفا: "نابلس العربية تشيّع شهيدين من أبنائها قضيا مناضلَين في جبال الخليل وفي حيفا"، **فلسطين**، 20/ 1/ 1948، ص 2.

وعن دور فيصل الطاهر، خبير المتفجرات في حامية يافا، واستشهاده يوم 14 نيسان/ أبريل 1948، يمكن مراجعة: بلال محمد شلش، **يافا.. دمٌ على حجر: حامية يافا وفعلها العسكري دراسة ووثائق، ج 1، سيرة البارود اليافيّ: دراسة في بنية حامية يافا وفعلها العسكريّ، كانون الأول/ ديسمبر 1947 – نيسان/ أبريل 1948** (بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 122–123.

(64) منظمة الشباب العربي، "أسماء لجنة الدفاع"، بتاريخ 14/ 4/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 13. وكانت اللجنة شُكّلت بمبادرة من منظمة الشباب العربي في نابلس عام 1948 في خطوة احتجاجية على عجز اللجنة القومية عن اتخاذ مشروع سريع للدفاع عن المدينة: "كتاب سكرتير لجنة الدفاع الوطني بنابلس إلى اللجنة القومية"، 26/ 4/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 13. ولم تعمر اللجنة طويلًا في ضوء التطورات اللاحقة، وأبرزها دخول الجيوش العربية إلى المدينة في أيار/ مايو 1948.

(65) في 6 نيسان/ أبريل 1948 وجهت اللجنة الاقتصادية المتفرعة عن اللجنة القومية بنابلس دعوتها إلى تجار الجملة في المدينة، وكان كنعان منهم، من أجل البحث في تأمين استيراد مخصصات الدقيق للمدينة =

شهور الحرب لتصل مدنًا فلسطينية أخرى كان أبرزها الرملة ويافا، فمثلًا أرسلت اللجنة القومية في يافا إلى نظيرتها في نابلس، في 30 كانون الثاني/ يناير، 1948 تصريحًا لحمدي كنعان لتصدير أربعة أطنان من السكّر لمحمد البهلوان (أحد تجار يافا)، وأن اللجنة ستشرف على توزيعها على العرب[66]. كما أرسلت اللجنة القومية في الرملة تصريحًا لإبراهيم شرورو لشراء ونقل خمسة أطنان من السكر من متجر كنعان[67].

بعد شهور من الاشتباك، ومع تصاعد وتيرة المعارك في آذار/ مارس 1948، وانقطاع خطوط المواصلات جزئيًا، بدا أن نابلس واجهت كما يبدو نقصًا في الأرز والسكّر والدقيق، لذا فإن المدينة طلبت من بعض تجار الجملة الكبار استيراد حاجة المدينة، لذا كاتبت اللجنة رئيس الوزراء الأردني بكتابين في 14 آذار/ مارس، لإشعاره بتكليف اللجنة حمدي كنعان لشراء 40 طنًا من السكر، و40 طنًا من الدقيق، و40 طنًا من الأرز[68].

في أعقاب معارك المدن الرئيسة، وتدفق مئات اللاجئين إلى نابلس، استورد كنعان 12 طنًا من الدقيق، أُشعر بوصولها يوم 23 نيسان/ أبريل 1948. وفي اللحظة ذاتها طلبت اللجنة القومية إذنًا من وزير التموين الأردني يسمح لكنعان باستيراد 100 طن من الدقيق، و50 طنًا من السكّر، و50 طنًا من الأرز[69]، وأعلم كنعان اللجنة مطلع أيار/ مايو بوصول ستة أطنان من سكّر استوردت من الأردن[70]، طالبًا الإذن

= والقضاء: "كتاب سكرتير اللجنة الاقتصادية إلى تجار المدينة"، 4/ 4/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 27.

(66) "كتاب سكرتير اللجنة القومية في يافا"، 30/ 1/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 20.

(67) "كتاب سكرتير اللجنة القومية في الرملة"، 1/ 2/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 20.

(68) "كتاب رئيس اللجنة القومية بنابلس إلى رئيس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية"، 14/ 3/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 27.

(69) "كتاب رئيس اللجنة القومية بنابلس إلى وزير التموين في المملكة الأردنية"، 23/ 4/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 28.

(70) "كتاب حمدي كنعان إلى اللجنة القومية بنابلس"، 1/ 5/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 28.

باستيراد 50 طنًا من السكر، و50 طنًا من الأرز[71]، وأُعلم كنعان بوصول عشرة أطنان منها في 9 أيار/ مايو[72].

الخريطة (مدخل 1-1)

وسط فلسطين (لواء السامرة، جزء من لواء القدس، جزء من لواء اللد) خلال المرحلة الاستعمارية البريطانية لفلسطين[73]

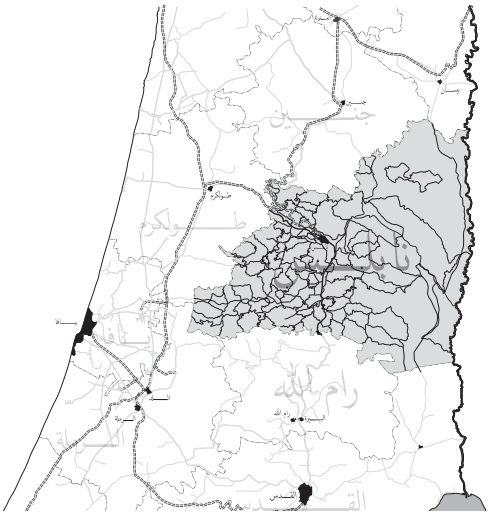

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة "فلسطين: القرى والمستوطنات، الخريطة 2"، المنجزة في عام 1942، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:150,000.

(71) "كتاب رئيس اللجنة القومية بنابلس إلى وزير التموين في المملكة الأردنية"، 1/ 5/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 28.

(72) "كتاب رئيس اللجنة القومية بنابلس إلى وزير التموين في المملكة الأردنية"، 9/ 5/ 1948، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات عهد الاستعمار البريطاني، تصنيف الملف: 17/ 3/ 28.

(73) كانت فلسطين العثمانية قبل الاستعمار البريطاني، كما أُشير سابقًا، مقسمة إلى ثلاثة سناجق: سنجقا عكا ونابلس، وأُتبعا لولاية بيروت؛ وسنجق القدس الذي أُتبع للعاصمة إسطنبول. وبعد الاحتلال، وخلال الفترة الاستعمارية البريطانية، قُسّمت إلى ستة ألوية: لواء غزة ومركزه مدينة غزة، ولواء اللد ومركزه مدينة يافا، ولواء القدس ومركزه مدينة القدس، ولواء السامرة ومركزه مدينة نابلس، ولواء حيفا ومركزه مدينة حيفا، ولواء الجليل ومركزه الناصرة. وحل لواء نابلس، من حيث المساحة، ثالثًا بعد لواءَي غزة والقدس، بمساحة إجمالية تبلغ 3266 كم^2، وقُسّمت الألوية إلى أقضية، فتشكّل لواء السامرة من أقضية: قضاء نابلس ومساحته 1637 كم^2، وقضاء جنين ومساحته 839 كم^2، وقضاء طولكرم ومساحته 790 كم^2. ديموغرافيًا، حل قضاء نابلس ثالثًا أيضًا بعد قضاءَي القدس وغزة، ففي إحصاء عام 1931 بلغ عدد سكانه =

الخريطة (مدخل 1-2)
مقطع قضاء نابلس (المدينة وريفها، التقسيمات الإدارية، خطوط المواصلات) خلال المرحلة الاستعمارية البريطانية لفلسطين

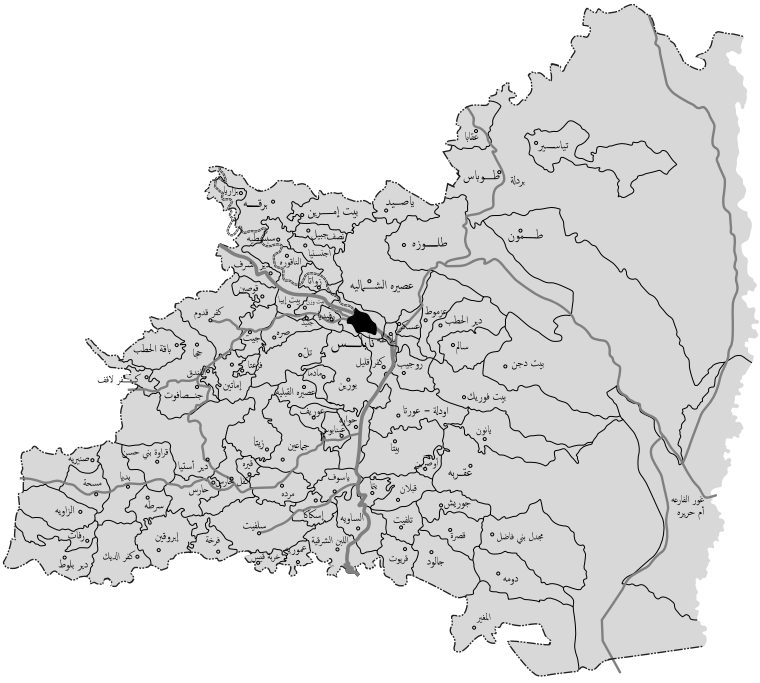
طلوزه
عصيره الشماليه
بيت دجن
بيت فوريك
دير الحطب
سالم
بيت إيبزين
برقه
ياصيد
تيرسير
برطعة
طلوزه
عصيره الشماليه
كفر قدوم
عقربا
باقة الحطب
كفر الماء
تل
بورين
مادما
إماتين
عصيره القبليه
روجيب
كفر قليل
أودلة - عورتا
بيت فوريك
بيت دجن
سالم
دير الحطب
تل
جماعين
زيتا
بيتا
عوريف
قبلان
عقربه
بابون
أودلة - عورتا
روجيب
كفر قليل
بورين
مادما
عصيره القبليه
إماتين
جينصافوت
كفر لاقف
باقة الحطب
عقربا
كفر قدوم
برقه
بيت إيبزين
ياصيد
تيرسير
برطعة
طلوزه
عصيره الشماليه
دير الحطب
سالم
بيت دجن
بيت فوريك
أودلة - عورتا
بابون
عقربه
قبلان
عوريف
جماعين
زيتا
بيتا
تل
عورتا
بورين
مادما
عصيره القبليه
روجيب
كفر قليل
جينصافوت
إماتين

تعكس هذه المكاتبات بعض مساهمة كنعان في تجارة المدينة آنذاك، وتوحي بصعود موقعه الاقتصادي، خصوصًا أن تجارته ارتبطت ببيع سلع أساسية لم تتأثر كثيرًا كما يبدو بالحرب والهزيمة[74]، بل تضاعفت الحاجة إليها في ظل الحديث عن وصول ما يزيد على 25 ألف مهجّر إلى نابلس[75]. وعلى الرغم من إعلان انتهاء الحرب بتوقيع اتفاقيات الهدنة، بقيت المدينة تستقبل المهجّرين، فنشرت صحيفة **البعث** مثلًا في 1 نيسان/أبريل 1949 حديثًا عن وصول سيارات تحمل مئات اللاجئين الذين طردتهم المنظمات الصهيونية من لواء الخليل، "وكانوا في حالة يُرثى لها، وعُلم أنهم كانوا يقاسون آلام الجوع والعذاب من قبل اليهود"[76]. وينطبق وصف الصحيفة لحالهم على جُلّ اللاجئين خلال المراحل السابقة.

---

(74) تأثر مثلًا مصنع الكبريت الرئيس في المدينة، وتأثر بعض كبار أثرياء نابلس وتجارها بفقدان جزء أساسي من ممتلكاتهم، كالبيارات في المناطق التي صارت جزءًا من الأرض المحتلة، كما تأثرت المصابن وصناعة الصابون، وانعكس ذلك على عجز الفلاحين عن تصريف فائض إنتاج الزيتون لديهم، إضافة إلى تأثر جزء أساسي منهم بالسياسات التفضيلية اللاحقة لتجار الضفة الشرقية في عمليات الاستيراد خصوصًا. عن الإشكاليات الأساسية التي واجهت كبار تجار نابلس آنذاك، يُنظر:

Gad G. Gilbar, "The Economy of Nablus and the Hashemites: The Early Years, 1949-56," *Middle Eastern Studies*, vol. 25, issue. 1 (1989), pp. 51-52.

(75) أشارت نتيجة أول إحصاء نظمته لجنة العناية بشؤون النازحين في مدن لواء نابلس وقُراه إلى وجود 24,989 لاجئًا، تبع ذلك إحصاء جديد تابع تطورات سكنى اللاجئين وتنقلاتهم، فبلغ عدد من أُحصي 27,464 لاجئًا. يُنظر: "أعمال لجنة شؤون النازحين في نابلس وقضاها ترفع الرأس فخرًا"، **الصريح**، 31/ 12/ 1949، ص 1. وللمزيد عن البيانات الإحصائية التي قدمتها اللجنة وعموم نشاطها، يُنظر: بهجت صبري، **اللجنة العامة للعناية بشؤون النازحين العرب في فلسطين من خلال ملفات بلدية نابلس وأوراقها** (نابلس: جامعة النجاح الوطنية – مركز التوثيق والمخطوطات والنشر، 1991)، ص 39–43. عمومًا، توجه الجزء الأكبر من اللاجئين إلى بقية وسط فلسطين – حوالي 43 في المئة – بينما توجه 12 في المئة نحو الضفة الشرقية، والبقية نحو البلدان العربية الأخرى: جميل هلال، **الضفة الغربية: التركيب الاجتماعي والاقتصادي (1948–1974)** (بيروت: مركز الأبحاث – منظمة التحرير الفلسطينية، 1974)، ص 19. لكن حدثت تغييرات في الأعوام اللاحقة بفعل ظروف مختلفة أدّت إلى هجرة كبيرة باتجاه الضفة الشرقية من المملكة الأردنية. يُنظر الأرقام ودلالاتها في: المرجع نفسه.

(76) "ضحايا جديدة"، **البعث**، 1/ 4/ 1949، ص 2. وللمزيد من الشهادات النابلسية عن اللاجئين وأوضاعهم وظروفهم، وكذلك عن اللجوء من المدن المختلفة والعودة إلى نابلس، يُنظر: إلهام أبو غزالة، **العنقاء أبدًا الخروج من يافا بدءًا: سيرة** (رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي، 2009)، ص 91–111؛ صالح عبد الجواد (إشراف وتقديم)، **صفحات من الذاكرة الفلسطينية: تذكرات الدكتور حاتم كمال/ نابلس** (بيرزيت: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني، 1995)، ص 45–48.

الخريطة (مدخل 1-3)
تشتت فلسطين بعد حرب 1947-1949، وحدود بقية وسط فلسطين وجنوبها

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة "فلسطين: القرى والمستوطنات (تشرين الأول/ أكتوبر 1949 - أيار/ مايو 1952)"، وهي خريطة صهيونية أُنجزت في عام 1949، استنادًا إلى الخريطة المنجزة عام 1946، ضمن مشروع Survey of Palestine، بوحدة قياس 1:250,000.

بانتهاء الحرب، تشكّلت حدود بقية وسط فلسطين الجديدة (الخريطة (1-3))، وعُدّلت وفقًا لمجرياتها لتُثبّت خطوط الهدنة، بعد توقيع المملكة الأردنية على الهدنة في رودس في 3 نيسان/ أبريل 1949، مشكّلة "السنام العربي" بخط يبدأ من منتصف الشاطئ الغربي للبحر الميت، تاركًا الربع الجنوبي الغربي من البحر في فلسطين المحتلة. ومن تلك النقطة، يرسم قوسين رئيسين كثيري التعرج، يفصل بينهما إسفين يندفع من قلب فلسطين المحتلة "لسان القدس". وأما القوس الجنوبي الأصغر فيضم "هضبة الخليل"، وأما الأكبر فيطوّق "السامرة"[77]، حتى ينثني نحو نهر الأردن قبل بيسان ملتقيًا به[78].

لم تكن الحدود الجديدة ولا التغيرات الديمغرافية التي حدثت في المدينة بسبب استيعابها آلاف اللاجئين المتغيرين الوحيدين إثر حرب 1947-1949، فثمة متغيرات اقتصادية ارتبطت بفقدان نابلس جزءًا من امتدادها الاقتصادي المباشر وغير المباشر، وقطع جزء أساسي من خطوط مواصلاتها، خصوصًا مع موانئ التصدير - حيفا ويافا - وكذلك قطع اتصالها بخط سكة الحديد الحجازية[79]. كما استجدّت

(77) يلاحَظ من الخريطة (1-3) أن قضاء نابلس كان من أقل المناطق تأثرًا بعد الحرب، فلم يُحتلّ منه غير جزء يسير، بينما فقد لواء السامرة جزءًا أساسيًا من أرضه، خصوصًا قضاءَي طولكرم وجنين، وتحولت أراضي القضاءين إلى جزء أساسي من المناطق الأمامية التي ستشهد خلال الأعوام التالية، وحتى حزيران/ يونيو 1967، ظلال حرب بفعل الاعتداءات الصهيونية المتكررة عليها، وبفعل تحولها إلى منطلق رئيس لـ "نزلات" أهالي البلاد إلى أرضهم المحتلة.

(78) للمزيد عن حدود المملكة الأردنية بعد ضم بقية وسط فلسطين، يُنظر نص جمال حمدان صاحب لفظ "السنام العربي" الذي عبّر به عن حدود هذه البقية: جمال حمدان، "الأردن دولةً: دراسة في الجغرافيا السياسية"، **الكاتب**، العدد 70 (كانون الثاني/ يناير 1967)، ص 30-33. وحول خصائص خطوط الهدنة بين الأردن ودولة الاحتلال، يُنظَر: محمد مصالحة، "جغرافية الأردن السياسية: أثر المتغير الصهيوني في حركية حدوده"، **المستقبل العربي**، العدد 51 (أيار/ مايو 1983)، ص 76-77.

(79) لم يقتصر أثر الحدود الجديدة المتشكّلة لبقية وسط فلسطين على سكان نابلس، بل شمل سكان التشكّل الجديد لتمزيقها المدن والقرى الأمامية، وفصلها بين كثير من مساكن القرى على السفوح وحقولها الزراعية في السهول، فأصبح نطاق القرى الأمامية بلا أراضٍ زراعية يعاني ازدحامًا ديموغرافيًا وفقرًا في الإنتاج الزراعي. كما أن عموم بقية وسط فلسطين كان يستكمل جزءًا كبيرًا من احتياجاته الإنتاجية والاستهلاكية من باقي أجزاء فلسطين وعن طريق موانيها. عن هذه التحولات، يُنظر: حمدان، ص 2؛ هلال، ص 17-25. وتلخيصًا لحال الوضع الاقتصادي بعد الحرب في بقية فلسطين وفي شرق الأردن الذي تأثر أيضًا بتحولات الحرب، يُنظر: حكمت طاهر المصري، "اقتصادنا القومي: رأي واقتراح"، **الصريح**، 26/ 7/ 1949، ص 1.

متغيرات سياسية جوهرية؛ فبالتزامن مع الحكم العسكري العراقي في المدينة، بدأ حكم أردني[80] بعد إغلاق مقر القيادة العراقية في نابلس وخروج القوات العراقية من بقية فلسطين[81]. وقد أحدث الوجود الأردني في بقية وسط فلسطين تغييرات جوهرية في الحياة السياسية لبقية أهل فلسطين، وتباينت المواقف الداخلية المتعلقة بهذه التحولات، وكانت نخبة نابلس جزءًا من القيادات السياسية الداعمة لهذه التحولات، وكان رئيس بلديتها سليمان طوقان أحد أبرز الشخصيات الفلسطينية التي اندمجت في العمل الحكومي الأردني.

لعل أبرز أحداث هذه المرحلة، مؤتمر نابلس الذي عُقد في يوم الثلاثاء، 27 كانون الأول/ ديسمبر 1948، ختامًا لسلسلة مؤتمرات عُقدت إثر مؤتمر أريحا المنعقد في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1948. انطلق مؤتمر نابلس إثر دعوة لجنة تحضيرية تشكّلت من رؤساء عدد من البلديات، هم: سليمان طوقان (نابلس)،

(80) بدأ الأردن يسعى لفرض حكمه العسكري على عموم بقية وسط فلسطين مبكرًا، ويشير رئيس أركان الجيش العراقي، صالح صائب الجبوري، إلى طلب وزير الدفاع الأردني فوزي الملقي، في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1948، أن يكون الحاكم العسكري العراقي في نابلس مرتبطًا بالحاكم العام الأردني في رام الله، فلم يوافق، لضرورة سيطرة القيادة العسكرية على المنطقة التي تقاتل فيها قواتها: صالح صائب الجبوري، **محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية** (بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 336. وأصرّ الأردن لاحقًا على تأسيس إدارة مدنية أردنية في المنطقة تمهيدًا للضم: المرجع نفسه، ص 445. وفي 12 شباط/ فبراير 1949، أصدر مجلس الوزراء القرار رقم 720، ومما جاء فيه: "لما كانت المناطق الفلسطينية المتاخمة للمملكة الأردنية الهاشمية، والتي يشغلها الجيشان الهاشميان، الأردني والعراقي، قد عادت إلى حالتها الاعتيادية، وصار من الضروري تأمين الخدمات العامة فيها بواسطة موظفين مدنيين، يرى مجلس الوزراء أن يستبدل الحكام العسكريين بحكام إداريين، على أن يكون الحاكم الإداري بمركز اللواء متصرفًا": عدنان البخيت (إشراف)، **الوثائق الهاشمية: أوراق عبد الله بن الحسين، الإدارة الأردنية في فلسطين 1948–1951**، مج 6 (عمّان: مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام – الجامعة الأردنية، 1995)، ص 83. وإثر هذا القرار، وقانون الإدارة العامة في فلسطين، عُيّن مساعد الحاكم العسكري في رام الله، أحمد بك الخليل، متصرفًا للواء السامرة في 6 آذار/ مارس 1949: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 978 (2 نيسان/ أبريل 1949)، ص 82. وعُيّن إسحاق النشاشيبي قائمقامًا لنابلس في 5 حزيران/ يونيو 1949: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 987 (1 تموز/ يوليو 1949) ص 190. لاحقًا حُوّل لواء السامرة إلى لواء نابلس اعتبارًا من 1 حزيران/ يونيو 1950: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1026 (17 حزيران/ يونيو 1950)، ص 245؛ "كتاب قائمقام نابلس إلى مخاتير قرى قضاء نابلس"، 23/ 5/ 1950، في: "أوامر وإعلانات الحكومة 1948–1958"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تصنيف الملف: 5/ 4.

(81) عن خروج القوات العراقية، يُنظر: سعيد، ص 111–128؛ الجبوري، ص 447–463.

وهاشم الجيوسي (طولكرم)، وحلمي العبوشي (جنين)، إضافة إلى الشيخ عبد الحميد السائح، وأحمد الشكعة، والحاج سعيد كمال، والدكتور مصطفى التبان، وسعيد الخليل، وأحمد طوقان، وحكمت المصري، وقدري طوقان، وجميل طقطق. وانعقد المؤتمر بحضور اللجنة التحضيرية، ووفود تمثّل القرى والهيئات الدينية والمسيحية، وجمعية العمال والأندية، ولجنة إصلاح القرية، والإخوان المسلمين، ومنظمات الشباب، والغرفة التجارية، ونقابة المحامين، إضافة إلى حضور حاكم نابلس العسكري علي بك غالب، ممثلًا للحاكم العسكري العام عمر مطر[82].

تحدث سليمان طوقان عن مهمة المؤتمر في جلسته الافتتاحية بأنها دعوة للتباحث في خير الوطن، أما أحمد طوقان فتحدث باسم اللجنة التحضيرية عن ضرورة السعي لتوحيد فلسطين، القُطر العربي، مع باقي الأقطار العربية، مبتدئين بالقطر الأقرب المجاور له، وأصدر المؤتمر في ختام مداولاته بيانًا باسم المجتمعين فيه المقررات الآتية، أولًا: "فلسطين قطر عربي، وجزء متمّم للمجموعة العربية، فكل تجزئة لهذا القطر العربي، وكل محاولة لتقسيمه وإقامة دولة يهودية، يرفضها المؤتمر رفضًا باتًا ولا يعترف بها". وثانيًا: "لا سبيل إلى إنقاذ فلسطين، وحل مشكلتها حلًا يحفظ عروبتها ويصون للدول العربية وجيوشها وشعوبها كيانهم وكرامتهم، إلا بتضافر الجهود، وتوحيد القيادة، واستئناف القتال بعزم وتصميم. لذلك، يقرر المؤتمر مطالبة أولي الشأن باستئناف القتال في الحال"[83].

وفي ظل المعارك على الجبهة الجنوبية، كانت دعوة المؤتمر في النقطة الثالثة الواردة في البيان؛ "يطلب المؤتمرون من كافة الدول العربية أن تبادر في الحال إلى نجدة الجيش المصري الذي يخوض الآن معركة قاسية، وأن يستأنف القتال في

(82) **البعث**، 29/ 12/ 1948، ص 4. ووفقًا للنمر، فإن المؤتمر لم يكن مؤتمرًا وإنما مؤامرة، حيث يشير إلى أثر الانقسام السابق في تسارع الدفاعيين للمطالبة بوحدة اندماجية، في رد فعل مضاد لرغبة الفريق الثاني باتحاد لا اندماج. وفي مؤتمر نابلس، يقول النمر إنه حضر المؤتمر المنعقد في المنشية الذي حرص منظموه ألّا تصل بطاقة دعوة إلى من قد يخالفهم، بينما حضر هو بطريقة غير مباشرة، ولما أراد الكلام مُنع، وفي تبرير ذلك علّق سليمان طوقان: "رأينا أنك ستعترض، ونحن نرى أنه من الحزم أن لا يعترض أحد حتى يتم الضم بسرعة". وعلّق النمر: "وكانت النتائج الخاصة والعامة ما عرفه الجميع من الفشل والتباغض، وأعتقد أنه لو كان [اتحادًا] لكانت النتائج أخف": النمر، مج 4، ص 58–59.

(83) **البعث**، 29/ 12/ 1948، ص 4.

جميع الجهات لتخفيف الضغط عن الجيش المصري، وتطهير البلاد بكاملها من اليهود". وأكد المؤتمرون في النقطة الرابعة على متانة الجبهة الداخلية في المنطقة، والاستعداد لبذل التضحيات، والعمل مع الجيوش العربية على خلاص فلسطين، مهما طال الزمن، وتقويض أركان الدولة اليهودية. وأعلن استعداد البلاد للتجنيد العام تحت قيادة الجيوش العربية، وأكد كذلك ضرورة غوث النازحين وإسعافهم بشكل يتفق وهول الكارثة التي ألمّت بهم[84].

خُتم المؤتمر بالمقررات التي وُجد من أجلها، كما ظهر، ففي النقطة السادسة أكد المؤتمر أن الوقت قد حان لتوحيد الأقطار العربية الذي هو هدف العرب ومسعى زعمائهم منذ فجر قضيتهم، وما نادى وعمل على تحقيقه جلالة المنقذ الأعظم – المغفور له – الملك الحسين بن علي، وأضيف: "نظرًا للروابط الوثقى المتعددة بين فلسطين وشرق الأردن، يقرر المؤتمر أن يؤلف من هذين القطرين مملكة عربية واحدة تحت التاج الهاشمي، ومبايعة صاحب الجلالة، الملك عبد الله بن الحسين ملكًا شرعيًا دستوريًا عليها". وطلبت النقطة السادسة من الملك اتخاذ الخطوات الدستورية والقانونية والدولية التي يتطلبها توحيد فلسطين كاملة غير مجزأة مع القطر الأردني[85]. وبانتهاء المؤتمر، حمل وفد مكلّف منه مقرراته إلى الملك عبد الله بن الحسين، شارك فيه وفقًا لبعض المصادر، حمدي كنعان، إضافة إلى سليمان وأحمد طوقان، وعادل الشكعة، وحكمت المصري، وهاشم الجيوسي[86].

---

(84) المرجع نفسه.

(85) وردت مقررات المؤتمر في: "مقررات المؤتمر الشعبي المنعقد في نابلس: استئناف القتال، تجنيد الفلسطينيين، مبايعة جلالة الملك عبد الله"، **البعث**، 29/ 12/ 1948، ص 4. ويُنظر قراءة عبد الله الريماوي، رئيس تحرير صحيفة **البعث**، في نتائج المؤتمرات الفلسطينية المختلفة، وقوله: إنه "من الصعب، بل من المكابرة، أن يُقال إن تلك المؤتمرات، إذا أُخذت مجتمعة، وأُخذت قراراتها مجتمعة، لم تكن ممثلة لأهل فلسطين، ولا معبرة عن رغبات أهل فلسطين. [لقد] حضر هذه المؤتمرات، أو بعضها، ولو واحد منها على الأقل، السواد الأعظم ممن لهم صفة تمثيلية أو من ذوي الرأي": عبد الله الريماوي، "هذه إرادتنا، فماذا أنتم فاعلون؟"، **البعث**، 29/ 12/ 1948، ص 1. ومقابل ذلك، يُنظر وجهة نظر معارضة ثانية، بخلاف وجهة نظر النمر الواردة سابقًا، لقائد الجهاد المقدس في قيادة بيرزيت، قاسم محمد الريماوي، في: بلال محمد شلش (تحقيق ودراسة)، **داخل السور القديم: نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس** (بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، ص 158–162.

(86) هاني سليم خير، **السجل التاريخي المصور لمجالس الوزراء، الأعيان، التشريعي، الوطني الاستشاري، النيابي، مجلس العشائر 1920–1990**، ط 2 (عمّان: المؤلف، 1990)، ص 30.

لم يكن حضور نابلس في هذه المرحلة مقتصرًا على التأييد السياسي غير المشروط لضم بقية وسط فلسطين إلى المملكة الأردنية الهاشمية[87]، وهذا ما انعكس بشكل جليّ في موقف ممثلي نابلس في جلسة مجلس الأمة لإقرار مشروع الحكومة بشأن وحدة الضفتين في 24 نيسان/ أبريل 1950[88]، بل كانت المدينة أيضًا جزءًا رئيسًا من الحراك السياسي المعارض، وستصبح خلال الأعوام اللاحقة أحد أبرز معاقل المعارضة للنظام الحاكم، ومعقلًا رئيسًا للأحزاب والقوى السياسية المعارضة، قديمها وجديدها[89]. وبعيدًا عن القوى السياسية المعارضة، فإن شخصيات المدينة

(87) سبق إجراءات الإعلان القانوني للضم سلسلة من الإجراءات الإدارية والقانونية المفروضة من المملكة الأردنية تأثرت فيها نابلس بشكل مباشر كما بقية وسط فلسطين، كان أبرزها "قانون الإدارة العامة في فلسطين"، والذي ألغى وظائف الحكام العسكريين في فلسطين، ثم قرار تطبيق قانون الإدارة العامة في فلسطين، والذي ربط متصرفي الألوية في المنطقة الغربية بوزير الداخلية، وألغى مهمة الحاكم الإداري العام بدءًا من 16 كانون الأول/ ديسمبر 1949: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 975 (16 آذار/ مارس 1949)، ص 69؛ **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1002 (1 كانون الأول/ ديسمبر 1949)، ص 381؛ **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1003 (17 كانون الأول/ ديسمبر 1949)، ص 405. وللمزيد عن الإجراءات القانونية والإدارية والسياق العام للضم، يُنظر: عصام سخنيني، "ضم فلسطين الوسطى إلى شرق الأردن 1948–1950"، **شؤون فلسطينية**، العدد 40 (كانون الأول/ ديسمبر 1974)، ص 56–83.

(88) حاولت بعض الشخصيات المنتخبة في المجلس النيابي أن تضع معايير للوحدة بين الأردن وفلسطين في جلسة نقاش مشروع الوحدة، لكن هذا الموقف كان موضع اعتراض العين سليمان طوقان الذي قال: "اسمحوا لي أن أقول إننا كلنا أتينا إلى هنا ونحن نعلم أن الدورة لافتتاح المجلس، وأن أبناء الضفة الغربية قد أقرّوا الوحدة المنشودة، فأنا مع موافقتي على ما تكلم به أنور بك نسيبة، ولكننا نحن في جلسة فوق العادة قد جئنا للوحدة، وعلينا أن نعطي قرار الضم، وتأتي الأمور الدستورية في الجلسات القادمة". أما نائب نابلس حكمت المصري فقال: "إن قرار الوحدة العربية لا يحتاج إلى تمحيص ودرس، فهو دستور كل عربي مخلص لبلاده، وهو من البديهيات، لهذا أرجو من فخامة الرئيس أن يبدأ بالتصويت على مشروع قرار الحكومة"، وعندما واصل الحاضرون النقاش، تحدث طوقان: "إننا نرى أنفسنا أمام أمور شكلية أثارها إخواننا المحامون الذين اعتادوا الكلام أمام المحاكم، جئنا هنا للوحدة، والشعب الفلسطيني انتخب نوابه لهذه الغاية، فأرجو وضع هذا الرأي بالتصويت"، وأضاف لاحقًا مقاطعًا الحوارات: "نحن أمام نقاش لا ينتهي فأقترح إنهاء المناقشة"، وبعد لحظات أضاف: "خلصنا": "مذاكرات مجلس الأمة"، **ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 3 (13 أيار/ مايو 1950)، ص 13–15.

(89) من النماذج المبكرة على نشاط المعارضة السياسية في نابلس، المظاهرات التي نظمتها بقية عصبة التحرر الوطني في المدينة أواخر آذار/ مارس 1950، وكذلك المظاهرات التي انطلقت احتجاجًا على اتفاقية رودس وتسليم المثلث، وقد قُمعت هذه المظاهرات بعنف. حول هذه الأحداث وبواكير العهد =

ونخبها الاقتصادية والسياسية لن تكون في انسجام دائم مع مواقف النظام، فاتخذت موقفًا معارضًا في بعض المحطات، لأسباب شخصية أحيانًا، ولأسباب عامة أحيانًا أخرى، أثرت في المشهد السياسي والاقتصادي، ومهدت الطريق لإحداث تغييرات في مؤسسات المدينة المختلفة، وعلى رأسها المجلس البلدي.

كان كنعان – باستثناء الحضور الرمزي في مشهد تسليم مقررات مؤتمر المدينة – بعيدًا عن المشهد السياسي المباشر خلال هذه المرحلة، ولم يُعرف عنه انتماؤه إلى أي من القوى السياسية خلال هذه المرحلة قديمها وجديدها، لكن صعود كنعان الاقتصادي المستمر تُرجم لاحقًا لصعودٍ في المجال العام، بدءًا من مشاركته أولًا في انتخابات المجلس البلدي للمدينة، ثم في مجالس غرفة تجارة وصناعة المدينة المشكلة كبديل لغرفة التجارة والصناعة والزراعة النشطة سابقًا.

2. من الاقتصاد إلى المجال العام

على الرغم من مركزية مدينة نابلس التاريخية، خصوصًا بعد سقوط المدن المركزية، مثل يافا وحيفا، وفقدان جزء أساسي من القدس، اتُّهمت الحكومة الأردنية بإهمال المدينة، حيث نُقلت الدوائر الأساسية الحكومية إلى القدس، فضلًا عن توجيه الاستثمارات الحكومية المختلفة – مع وجود استثناءات[90] – إلى مناطق بعيدة عن نابلس، فاتسمت التنمية الاقتصادية في المدينة خلال الأعوام الأولى من الحكم الأردني لبقية وسط فلسطين بصعود الاستثمارات المحلية بديلًا من الاستثمار

= الأردني في المدينة من وجهة نظر معارضة، يُنظر: فائق ورّاد، **مذكرات فائق وراد: خمسون عامًا من النضال** (رام الله: منشورات حزب الشعب الفلسطيني، 2005)، ص 51–60؛ عبد العزيز العطي، **رحلة العمر: من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر** (عمّان: المؤلف، 2012)، ص 70–71؛ فؤاد عبد النور، **عشنا وهرمنا وشفنا أخيرًا** (بيروت: دار الفارابي، 2014)، ص 39–59. وعن المظاهرات خصوصًا، يُنظر: "مظاهرات في نابلس ضد اتفاقية رودس"، **الاتحاد**، 18/ 4/ 1948، ص 2. ويُنظر تحريض **الصريح** في: "مظاهرة شيوعية في نابلس"، **الصريح**، 1/ 4/ 1950، ص 1؛ هاشم السبع، "حول مظاهرات نابلس ونتائجها"، **الصريح**، 8/ 4/ 1950، ص 1.

(90) من ذلك مثلًا المساهمة في الاستثمار في شركة مصانع الزيوت النباتية الأردنية المساهمة، في كانون الأول/ ديسمبر 1953. وهي مساهمة شملت عددًا من العائلات النابلسية الأساسية في هذه المرحلة، كالمصري والشكعة وعنبتاوي. عن هذا الاستثناء والمشاكل التي واجهتها يُنظر:

Gilbar, pp. 56-57.

الحكومي[91]. وفي ظل هذه الأجواء، زادت قيمة المجلس البلدي، على الرغم من التقييدات المتزايدة على المجالس البلدية عمومًا، وكذلك غرفة تجارة وصناعة نابلس، وصار المجلس إلى جانب الغرفة جزءًا أساسيًا من المبادرة في تطوير اقتصاد المدينة وبنيتها التحتية[92].

خلال هذه المرحلة، انتقل كنعان إلى المشاركة الفاعلة في المجال العام، كان أول مظاهرها بمبادرة من السلطات الحاكمة الجديدة، إذ أبلغ متصرف لواء نابلس حسن الكاتب حمدي كنعان بموافقة وزير الداخلية على تعيينه عضوًا في مجلس بلدية نابلس اعتبارًا من 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1950[93] لاستكمال المجلس البلدي المنتخب منذ أواخر الحكم الاستعماري البريطاني، حيث كان سليمان طوقان مستمرًا في رئاسة المجلس البلدي بعد مخاض قانوني عسير، على الرغم من محاولة العضو محمد العمد الطعن في شرعية رئاسة طوقان[94]. ولكن بانتقال طوقان

(91) مع ضرورة الإشارة إلى وجود تقييدات مختلفة في هذه المرحلة المبكرة من السلطات المركزية، يُنظر مثلًا بيان وزير الاقتصاد حول توجه رؤوس الأموال لتأسيس مصانع مختلفة بتاريخ 24 تموز/ يوليو 1954، في: "أوامر وإعلانات الحكومة 1948–1958"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تصنيف الملف: 5/ 4.

(92) Gilbar, p. 56.

(93) "كتاب من متصرف لواء نابلس حسن الكاتب إلى الوجيه حمدي كنعان"، 21/ 11/ 1950، في: "برنامج المجلس البلدي 1945–1950"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تصنيف الملف: 27/ 7. وعُيّن، إضافة إلى كنعان، الحاج معزوز المصري: "كتاب من متصرف لواء نابلس حسن الكاتب إلى الحاج معزوز المصري"، 21/ 11/ 1950، في: "برنامج المجلس البلدي 1945–1950"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تصنيف الملف: 27/ 7.

(94) في 24 كانون الثاني/ يناير 1925، عُين حاكم لواء نابلس البريطاني سليمان عبد الرزاق طوقان رئيسًا للمجلس البلدي بعد حل المجلس السابق: "الهيئة الجديدة"، **مرآة الشرق**، 1/ 2/ 1925، ص 3. وكان التاجران طاهر وشقيقه صادق كنعان – وفقًا لتعريف الخبر – من النخبة النابلسية الحاضرة لاجتماع اختيار طوقان: "الذين انتخبوا رئيس بلدية نابلس"، **مرآة الشرق**، 8/ 2/ 1925، ص 2. وسمى طوقان لهيئة البلدية كلًا من: أحمد الشكعة، وطاهر المصري، وعبد الرحيم التميمي، وعبد الرحيم النابلسي، وتوفيق أحمد عرفات، وجورجي عبد النور، ومحمد عزت دروزة. عن حيثيات هذا المجلس، يُنظر: دروزة، مج 1، ص 587. بقي طوقان رئيسًا مُعيَّنًا للمجلس البلدي طيلة الحكم الاستعماري البريطاني لفلسطين، وعُقدت آخر انتخابات بلدية في نابلس في 6 أيار/ مايو 1946 تصدّرها محمد العمد، مرشح جمعية العمال (977 صوتًا)، تلاه مرشحو الحزب العربي: عبد الرحيم النابلسي (975 صوتًا)، وفايق عنبتاوي (934 صوتًا)، وعبد الرحيم التميمي (923 صوتًا)، ومصطفى بشناق (904 أصوات)، ثم مرشحو حزب الدفاع: سليمان طوقان (903 أصوات)، وحكمت المصري (859 صوتًا)، وأحمد الشكعة (838 صوتًا): **فلسطين**، 8/ 5/ 1946، ص 1. لكن في 8 تموز/ يوليو 1946، أبطل القاضي البريطاني في محكمة نابلس المركزية =

إلى المشاركة المباشرة في السلطة الأردنية[95]، انتقلت رئاسة المجلس البلدي إلى نائبه أحمد الشكعة[96].

الخريطة (مدخل 1-4)
الموقع الجغرافي لمدينة نابلس

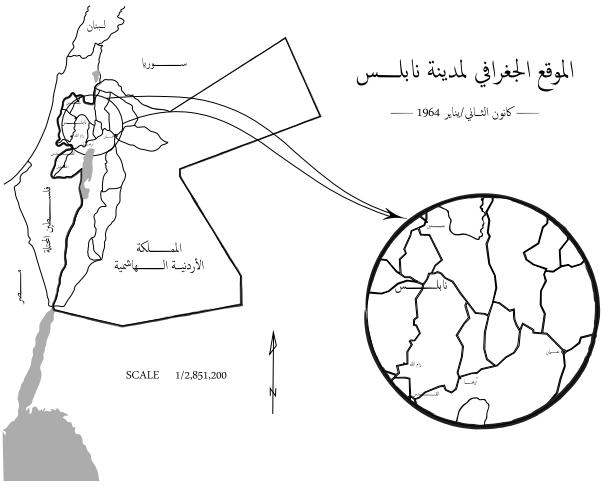

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى خريطة منجزة لمشروع إنشاء شبكة مجاري وتصريف وتكرير مياه مدينة نابلس، بوحدة قياس 1/ 2,851,200 محفوظة في: أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 19/ 1586.

= الانتخابات لخلل في تشكيلة اللجنة الانتخابية، إثر ذلك رفع العمد ومرشحو الحزب العربي الناجحون قضية أمام محكمة الاستئناف العليا، فأبطلت حكم المحكمة المركزية: **فلسطين**، 31/ 1/ 1947، ص 4؛ **الدفاع**، 9/ 7/ 1947، ص 2؛ **فلسطين**، 19/ 7/ 1947، ص 4؛ **فلسطين**، 9/ 12/ 1947، ص 4. ثم تحولت القضية إلى مجلس الملك الخاص، وتم الجلاء البريطاني عن فلسطين قبل أن يصدر قرار فيها، وبعد انتقال الحكم الإداري من السلطات الاستعمارية البريطانية إلى المملكة الأردنية، قدّم محمد العمد التماسًا للحكومة في تموز/ يوليو 1949 يطالب بتعيينه رئيسًا للبلدية، في ضوء النتائج الأخيرة، لكن ذلك لم يتم: **الصريح**، 26/ 7/ 1949، ص 4؛ **الصريح**، 6/ 8/ 1949، ص 3.

(95) بعد اغتيال الملك عبد الله، تألفت حكومة توفيق أبو الهدى الثامنة في 25 تموز/ يوليو 1951، وعُيّن فيها طوقان وزيرًا للدفاع، فسلّم طوقان البلدية لأحمد الشكعة. وكان طوقان قد عُيّن سابقًا في مجلس الأعيان الثاني في 20 نيسان/ أبريل 1950، وحُلَّ المجلس في 3 أيار/ مايو 1951، وتجددت عضويته في المجلس الثالث (1 أيلول/ سبتمبر 1951 – 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1951)، والرابع (1 تشرين الثاني/ نوفمبر 1951 – 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1955)، والخامس (1 تشرين الثاني/ نوفمبر 1955، وحتى استقالته من المجلس لتعيينه في 13 تموز/ يوليو 1957 وزيرًا لبلاط الديوان الملكي).

(96) **الدفاع**، 5/ 8/ 1951، ص 4؛ **الدفاع**، 6/ 8/ 1951، ص 4.

هذه المشاركة، جددها كنعان حين تقدم لانتخابات المجلس البلدي المنعقدة في 12 آب/ أغسطس 1951، في ظل مرحلة انتقالية تلت اغتيال الملك عبد الله، وسبقت تتويج طلال ملكًا جديدًا. وكان كنعان في هذه الانتخابات جزءًا من الجبهة الوطنية في نابلس التي نافست الجبهة الشعبية في المدينة[97]. اجتمع برنامج الجبهتين على الاهتمام بقضية الماء؛ إيصال المتوافر منها إلى مساحات أوسع، والبحث عن مصادر جديدة، وهي مشكلة مركزية كما سيرد تفصيل ذلك في ذيل الكتاب. وكذلك تطوير البنية التحتية للمدينة؛ شبكة الكهرباء، الطرق، تطوير البلدة القديمة. وامتاز برنامج جبهة كنعان (الملحق 1) بربطه بين واقع المدينة المستجد في ضوء نتائج حرب 1947–1949 ومساعي الجبهة، فكان البند الأول العمل على إنعاش الحالة الاقتصادية، وإيجاد مشاريع جديدة للحد من أزمة البطالة المنتشرة بين العمال[98]. بينما امتاز برنامج الجبهة الشعبية بالحديث عن إنشاء مكتبة عامة للمدينة، ودراسة مشروع إنشاء وحدات سكنية للعمال وصغار الموظفين، وهو المشروع الذي سيعتني به كنعان وينفذه بعد أعوام، وسيهتمّ بمعالجة قضية الدقيق، إذ تعهدت الجبهة بتأمين الدقيق والقمح وجلبه من الخارج، وتقديمه إلى الطبقات العاملة والمحتاجة بأسعار مخفضة نظرًا إلى الأزمة الطارئة التي تمر بها البلد[99].

فاز أعضاء الجبهة الوطنية بأغلب مقاعد المجلس البلدي، وحل كنعان في

(97) ضمت قائمة الجبهة الوطنية، إضافة إلى كنعان، كلًا من: عبد الرحيم التميمي، وفهمي آغا النمر، ونعيم عبد الهادي، ومعزوز المصري، وإبراهيم النابلسي، ونعيم الخياط، وعادل الشكعة. بينما تشكّلت قائمة الجبهة الشعبية من: محمد العمد، ومحمد زكي قمحاوي، ونعيم حيدر طوقان، ومنير السختيان، وسالم النابلسي، وحسني شاهين، وشافع سعد الدين، وصلاح الدين عنبتاوي: **الدفاع**، 6/ 8/ 1951، ص 4.
ولم تكن مشاركة كنعان هذه مشاركة عائلته الصغيرة الأولى في الانتخابات البلدية، إذ سبق أن شارك والده طاهر كنعان في انتخابات المجلس البلدي المنعقدة في 7 نيسان/ أبريل 1927 لكنه لم يفُز فيها، حيث تصدّر نتائجها مرشحو الجمعية الإسلامية: سليمان طوقان (676 صوتًا)، وأحمد الشكعة، وعبد الرحيم النابلسي، وطاهر المصري، وعبد الرحيم التميمي، ومرشحو حزب الأهالي: توفيق عرفات، وحيدر طوقان (339 صوتًا). وحلّ كنعان في المرتبة الحادية عشرة بحصوله على 326 صوتًا: **اليرموك**، 12/ 4/ 1927، ص 3.

(98) "بيان الجبهة الوطنية بنابلس"، **الدفاع**، 6/ 8/ 1951، ص 4؛ **الدفاع**، 7/ 8/ 1951، ص 4؛ **الدفاع**، 8/ 8/ 1951، ص 4؛ **الدفاع**، 9/ 8/ 1951، ص 4.

(99) "برنامج الجبهة الشعبية بنابلس"، **الدفاع**، 6/ 8/ 1951، ص 4؛ "بيان وبرنامج الجبهة الشعبية"، **الصريح**، 11/ 8/ 1951، ص 4. ويُنظر تفصيلات إضافية حول برنامج الجبهة ورؤيتها لدور البلدية في: "الجبهة الشعبية بنابلس"، **الدفاع**، 7/ 8/ 1951، ص 4؛ "انتخابات البلدية في نابلس"، **الدفاع**، 8/ 8/ 1951، ص 4؛ **الدفاع**، 9/ 9/ 1951، ص 4.

المقعد الخامس بحصوله على 1562 صوتًا[100]، وأعلن متصرف لواء نابلس إحسان هاشم في الجريدة الرسمية تشكيلة المجلس الجديد[101]. لكن، في 26 أيلول/ سبتمبر 1951، تم حل المجلس البلدي - إثر خلافات داخلية - بقرار من وزير داخلية الحكومة المؤلفة في عهد الملك طلال في 8 أيلول/ سبتمبر 1951، سعيد باشا المفتي، وبرر الحل بنقص عدد أعضاء المجلس عن النصاب القانوني المقرر، واستحالة عقد جلساته القانونية[102].

قرر المفتي في اليوم ذاته تشكيل لجنة بلدية للقيام بمهمات المجلس البلدي[103]، ووفقًا لقرار المفتي فإن اللجنة تشكّلت من: نعيم عبد الهادي (رئيسًا)[104]، ومعزوز

(100) تصدّر النتائج معزوز المصري بحصوله على 1931 صوتًا، وحل ثانيًا عن الجبهة الشعبية محمد العمد بحصوله على 1593 صوتًا، وحصل عادل الشكعة الذي حل ثالثًا على 1585 صوتًا، تلاه نعيم عبد الهادي بـ 1568 صوتًا. أما زكي قمحاوي الذي تلا كنعان فحصل على 1495 صوتًا، وتلاه صلاح الدين عنبتاوي الذي حصل على 1483 صوتًا، فنعيم الخياط الذي حصل على 1325 صوتًا: "النتائج النهائية لانتخابات بلدية نابلس"، **الدفاع**، 14/ 8/ 1951، ص 1.

(101) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1082، الملحق 4 (10 أيلول/ سبتمبر 1951)، ص 256. وتبع هذه الانتخابات انتخابات جديدة للمجلس النيابي في 29 آب/ أغسطس 1951، انتُخب على إثرها من نابلس كل من: حكمت المصري، وعبد القادر الصالح، وقدري طوقان، وثلاثتهم ترشحوا عن الجبهة الدستورية التي ضمت أيضًا عبد اللطيف الأسعد القدومي. وانتُخب أيضًا وليد أحمد الشكعة، مرشح الجبهة الشعبية المتحدة التي ضمت أيضًا فائق فريد عنبتاوي، وعبد الرحمن السكسك، وعبد الرؤوف الفارس. يُنظر نتائج الانتخابات في: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1082، الملحق 1 (1 أيلول/ سبتمبر 1951)، ص 249-251.

(102) طُعِنَ في انتخابات المجلس في عريضة انتخاب رُفعت إلى محكمة بداية نابلس، لكن وزير الداخلية أصدر في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1951 بيانًا بمقتضى الفقرة 2 من المادة 38، جاء فيه: "ليكن معلومًا لدى العموم أنه استنادًا إلى الصلاحية المخولة لي في الفقرة 2 من المادة الثامنة والثلاثين من قانون البلديات لسنة 1934، بصيغتها المعدلة في المادة العاشرة من قانون البلديات المعدل لسنة 1946، أعلن أن مرشحي مجلس بلدية نابلس التالية أسماؤهم الذين طُعن في انتخابهم في عريضة انتخاب رُفعت إلى محكمة بداية نابلس، قد تم انتخابهم حسب الأصول، وهم: الحاج معزوز أفندي المصري، محمد أفندي العمد، عادل أفندي الشكعة، نعيم بك عبد الهادي، حمدي أفندي كنعان، الحاج محمد زكي أفندي قمحاوي، الدكتور صلاح الدين أفندي عنبتاوي، نعيم أفندي الخياط".

يُنظر أمر الحل: "هيئة بلدية نابلس أمر حل"، **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1083، الملحق 4 (16 أيلول/ سبتمبر 1951)، ص 323.

(103) "هيئة بلدية نابلس أمر تعيين"، **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1083، الملحق 4 (16 أيلول/ سبتمبر 1951)، ص 323.

(104) صدر قرار وزير الداخلية سعيد المفتي بتعيين نعيم بك عبد الهادي رئيسًا للمجلس البلدي في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1951. يُنظر: "إعلان بتعيين رئيس البلدية"، **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1088، الملحق 1 (17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1951)، ص 361.

المصري (نائبًا للرئيس)[105]، وعضوية كل من: عادل الشكعة، وحمدي كنعان، وصلاح الدين عنبتاوي، ومحمد زكي قمحاوي (1899–1965)، ومحمد العمد، ونعيم الخياط. استند المفتي في "أمر التعيين" إلى الصلاحيات المخولة إليه بموجب بعض مواد قانون البلديات المعدل لعام 1934، وهو الإطار القانوني الناظم للانتخابات الأولى، والذي تعرّض لانتقادات عدة ومطالبات بتعديله لإعادة توزيع السلطة بين السلطة المركزية والهيئات المحلية، تعزيزًا لسلطة الهيئات المحلية، وكذلك زيادة حجم المشاركة العامة في الانتخابات[106].

أُجريت تعديلات جوهرية في قانون الانتخابات، مرتبطة بالتحولات الأولية التي شهدها الأردن بعد تتويج الملك الحسين بن طلال ملكًا للمملكة الأردنية، فصدر قانون جديد، هو القانون رقم 17 لعام 1954، ليحل محل قانون البلديات السابق وتعديلاته. وأبرز التعديلات التي استحدثها القانون المادة 47 المتعلقة بتعيين رئيس البلدية وإقالته، إذ أعطت هذه المادة المجلس البلدي المنتخب حق اختيار رئيسه بالأكثرية، وقلّلت

---

(105) صدر قرار وزير الداخلية سعيد المفتي بتعيين الحاج معزوز أفندي المصري نائبًا لرئيس المجلس البلدي، في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1951، يُنظر: "إعلان بتعيين نائب لرئيس البلدية"، **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1088، الملحق 1 (17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1951)، ص 361.

(106) Moshe Ma'oz, *Palestinian Leadership on the West Bank: The Changing Role of the Arab Mayors Under Jordan and Israel* (London: Routledge, 2015), p. 27.

رغم الانتقادات التي تحدث عنها معوز، فإن رؤساء بلديات لواء السامرة وقّعوا مذكرة مشتركة تلت اجتماعهم في بلدية نابلس في 7 كانون الثاني/ يناير 1950 تعترض على قرار وزير الداخلية الأردني بتكليف المجالس البلدية بعدد من الإلزامات انطلاقًا من قانون بلديات الضفة الشرقية، وخلُصت المذكرة إلى رفض أي قانون مخالف لقانون البلديات رقم 1 لعام 1934، بوصفه القانون الساري في بقية فلسطين إلى أن يُسنّ قانون جديد: "مذكرة رؤساء البلديات إلى وزير الداخلية"، 7/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1. ويُنظر لاتصالات أخرى مع بقية رؤساء البلديات: "كتاب عيسى بندك إلى سليمان طوقان"، 3/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1؛ "كتاب يوسف قدورة نائب رئيس بلدية رام الله إلى وزير الداخلية"، 18/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1؛ "كتاب رئيس بلدية بيت جالا"، 20/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1؛ "كتاب محمد علي الجعبري إلى رئيس بلدية نابلس"، 23/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1.

وإثر هذه الاتصالات، أقر وزير الداخلية أن يكون تنظم ميزانيات السنة المالية الحالية بحسب الأصول المقررة في قانون البلديات لعام 1934: "كتاب قائمقام نابلس إسحق النشاشيبي إلى رئيس بلدية نابلس"، 26/ 1/ 1950، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1

صلاحيات مجلس الوزراء في عزل رئيس البلدية المنتخب، فاشترطت أن يكون رئيس البلدية قد بلغ الأسباب الموجبة لعزله، وأن يُعطى مهلة كافية للرد على التهم. كما أعطت المادة 48 المجلس المنتخب حق انتخاب نائب الرئيس[107].

لكن قبل إجراء الانتخابات البلدية اللاحقة، وعلى الرغم من طلب رئيس بلدية نابلس نعيم عبد الهادي، كما عدد من رؤساء البلديات الأخرى، مشاركتهم في أي قانون جديد للبلديات[108]، وبخلاف رغبتهم، صدر القانون رقم 29 لعام 1955، ليفرغ القانون السابق من أهم منجزاته المتعلقة بزيادة سلطات الهيئات المحلية وتعزيز استقلاليتها، إذ منحت المادة 34 مجلس الوزراء الحق في تعيين أحد الأعضاء المنتخَبين رئيسًا للمجلس بناءً على تنسيب وزير الداخلية، كما منحت المجلس، بناءً على تنسيب وزير الداخلية، الحق في إقالة رئيس البلدية المعيَّن إذا اقتنع أن مصلحة البلدية تقتضي ذلك، وحصّنت قراره باعتباره قرارًا قطعيًا غير تابع لأي طريق من طرائق الطعن القانونية[109]. وحدد القانون الجديد صلاحيات المجلس البلدي المحلية وقيّدها بقرارات مجلس الوزراء[110]، وستمنع الحوادث السياسية اللاحقة متابعة أي خطوة اعتراضية ضد هذا القانون.

---

(107) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1183 (6 حزيران/ يونيو 1954)، ص 445.

(108) "كتاب نعيم عبد الهادي إلى وزير العدلية"، 1/ 1/ 1955، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1.

(109) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1225، (1 أيار/ مايو 1955)، ص 412، وإثر إقرار القانون الجديد ظهرت دعوات لنقاشه بعقد مؤتمر لرؤساء البلديات، لكن بلدية نابلس رأت أن الظرف غير ملائم لعقده: "كتاب محمد علي الجعبري إلى رئيس بلدية نابلس"، 11/ 9/ 1956، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1؛ "كتاب معزوز المصري إلى رئيس بلدية الخليل"، 25/ 9/ 1956، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1. ويُنظر ملاحظات كاتب البلدية على هذا القانون، والتي صاغها بموجب تكليف رئيس البلدية أحمد السروري في: "التعديلات المقترحة على قانون البلديات لسنة 1955"، 10/ 12/ 1959، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1. وقد نوقشت هذه التعديلات المقترحة بحضور كنعان وبعض رؤساء بلديات المنطقة: "كتاب رئيس بلدية نابلس إلى نائب رئيس البلدية حمدي كنعان"، 17/ 12/ 1959، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، ملفات العهد الأردني، تصنيف الملف: 54/ 1. وإثر هذا الاجتماع قُدّمت مجموعة من الاقتراحات باسم المجتمعين وحُفظت في الملف ذاته.

(110) لقراءة مختصرة في هذه التقييدات، وربطها في السياق العام المتعلق بتعزيز السلطة المركزية في عمّان، وتأسيس أذرع موازية لها في المدن المختلفة، يُنظر:

Ma'oz, pp. 30-31.

لم يكن المجلس البلدي الموضع الوحيد الذي دخل من خلاله كنعان إلى المجال العام، وإنما سيكون أحد أعضاء أول مجلس لغرفة تجارة وصناعة نابلس في تموز/ يوليو 1953، إذ اختير لأمانة سر المجلس الأول، بينما اختير خليل طوقان رئيسًا، والحاج معزوز المصري نائبًا للرئيس[111]. وبعد هذه المشاركة، سيتكرر انتخاب كنعان في انتخابات المجلس البلدي المنعقدة في 15 أيلول/ سبتمبر 1955، والتي جرت في ظل ظروف استثنائية ستعيشها نابلس، كما عموم المملكة الأردنية، إذ سُبقت باحتجاجات واسعة حول تزوير انتخابات المجلس النيابي المنعقدة في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1954[112]، وتلتها احتجاجات بلغت ذروتها في المظاهرات الرافضة لإلحاق الأردن بحلف بغداد[113].

شارك كنعان عضوًا في قائمة الجبهة القومية[114] التي نافست قائمة الجبهة

---

(111) شملت عضوية المجلس كذلك كلًا من: توفيق أحمد عرفات (نائبًا لأمين السر)، ومحمد زكي قمحاوي (خازنًا)، وعبد الرحمن الحجاوي (نائبًا للخازن)، والحاج عبد الرحيم التميمي، وعادل الشكعة، وعبد العفو العالول، وشكيب يعيش، وأمين الطاهر، والحاج سبع الصيفي.

(112) أرسل عدد من الشخصيات مذكرة حول تزوير هذه الانتخابات في 27 تشرين الأول/ أكتوبر 1954، جاء فيها: "لقد ثبت بشكل قاطع أن حكومة دولة السيد توفيق أبو الهدى السابقة قد زيّفت إرادة الشعب في الانتخابات التي أجرتها في كل مرحلة وبكل وسيلة، وأوجدت جوًا من الإرهاب المسلح رافق الانتخابات وأنتج المجلس النيابي الحالي، وأدى إلى الحوادث الدامية التي ذهب ضحيتها عشرات المواطنين الأبرياء. وليست الحكومة القائمة في أشخاصها وأهدافها إلا استمرارًا للحكومة السابقة". وأضافت المذكرة: "إن المصلحة الوطنية تفرض علينا أن نعلن باسم الشعب ولمصلحته: أولًا أن المجلس المنبثق عن انتخابات 16/ 10/ 1954 لا يمثّل الشعب. ثانيًا أن أية قرارات والتزامات يتخذها المجلس أو يرتبط بها لا تقيّد الأمة في شيء. ثالثًا، ولكي تتمتع البلاد بحياة ديمقراطية صحيحة، نطلب حل البرلمان القائم، وإجراء انتخابات على أسس نزيهة حرة تجريها حكومة انتقالية عملًا بروح التعديل الأخير للدستور". ومن الشخصيات النابلسية الموقعة على المذكرة: النائب السابق قدري طوقان، والمحامي نعيم طوقان، ونايف المصري، وعضو مجلس بلدية نابلس الدكتور صلاح الدين عنبتاوي، وحسني الخفش، ونقيب المحامين فؤاد عبد الهادي، وعضو مجلس بلدية نابلس محمد العمد، والنائب السابق رشاد طوقان، والنائب السابق عبد المجيد أبو حجلة: "مذكرة"، 27/ 10/ 1954، مجموعة الوثائق المتفرقة/ سليمان طوقان، دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، رقم الوثيقة: م خ/ 2/ 128.

(113) عن هذه المظاهرات وكيفية تفاعل نابلس مع الاعتقالات التي تبعتها، كتب العطي: "صباح اليوم التالي لليلتنا في معتقل المفرق، نودي على المعتقلين من مدينة نابلس وجُمعوا على حدة، ثم علمنا أن وجهاء المدينة طالبوا الحكومة بإطلاق سراح أبناء المدينة إذا كانت الحكومة تريد تهدئة الأوضاع، وإلا فإن المظاهرات ستتواصل. فاستجابت السلطات لطلبهم، وأعادت معتقلي نابلس إلى ديارهم": العطي، ص 128.

(114) ضمت القائمة كلًا من: معزوز المصري، وتوفيق عرفات، وحمدي كنعان، والمحامي حمدي عبد المجيد، وعادل الشكعة، وعبد الرحيم التميمي، وعبد الكريم الطاهر، وعباس النابلسي، ونعيم الخياط، =

الشعبية[115]. حددت الجبهة برنامجًا انتخابيًا راعت فيه، وفقًا لما أبرز البرنامج (الملحق 3)، إمكانية تحقيقه خلال الدورة الانتخابية في ضوء إمكانيات البلدية، وكانت أبرز وعوده تنفيذ مشروع الكهرباء في المدينة وتخفيض تسعيرتها، وتنفيذ مشروع المياه، وإيجاد مصادر أخرى لتزويد عموم المدينة بالمياه والكهرباء، وكذلك العمل على تنفيذ عدد من المشاريع لتطوير البُنى التحتية الصحية والتعليمية والترفيهية للمدينة. إضافة إلى القضايا الخدمية، اعتنى البرنامج بإبراز موقف الجبهة من القانون رقم 29 لعام 1955 المشار إليه سابقًا، فأكد على المطالبة بتعديل قانون البلديات تعديلًا يتفق وروح الديمقراطية الصحيحة، بانتخاب الأعضاء للرئيس، وجعل السلطة المطلقة للشعب وحده بانتخاب ممثليه، والعمل على تنمية موارد البلدية، لتصبح قادرة على تنفيذ مشاريعها في العمران والخدمات العامة[116].

تصدّر معزوز المصري من قائمة الجبهة القومية نتائج الانتخابات البلدية بحصوله على 1605 أصوات، بينما حلّ منافسه محمد العمد من قائمة الجبهة الشعبية في المركز الثاني بحصوله على 1488 صوتًا. أما كنعان، فحلّ في المركز الرابع بحصوله على 1305 أصوات[117]. ووفقًا للتعديلات الأخيرة في القانون الانتخابي، عُيّن معزوز المصري رئيسًا للمجلس البلدي، وانتُخب صدر الدين عاشور نائبًا للرئيس[118].

= والدكتور جودت تفاحة. يُنظر: "بيان من الجبهة القومية لانتخابات المجلس البلدي بنابلس"، **الدفاع**، 6/ 9/ 1955، ص 8. ويُنظر أيضًا خبر تأليف الجبهة في: **الدفاع**، 6/ 9/ 1955، ص 1.

(115) شكّلت قائمة الجبهة الشعبية من: محمد العمد، ومحمد زكي قمحاوي، ونعيم طوقان، وحسني شاهين، وخليل الخماش، وناظم السخن، وصدر الدين عاشور، وعبد الرحمن حجازي، وعبد المجيد أبو حجلة، وصلاح الدين عنبتاوي: **الدفاع**، 7/ 9/ 1955، ص 1. ويُنظر القائمة النهائية للمرشحين كما أعلنها رئيس الانتخاب لمنطقة بلدية نابلس صالح المجالي في: **الدفاع**، 9/ 9/ 1955، ص 2.

(116) "برنامج الجبهة القومية لانتخابات المجلس البلدي بنابلس"، **الدفاع**، 9/ 9/ 1955، ص 8؛ **الجهاد**، 10/ 9/ 1955، ص 4. ويُنظر صورة عن البرنامج في الملحق 3.

(117) حل عادل الشكعة ثالثًا بحصوله على 1481 صوتًا، أما بقية المقاعد فكانت لـ: صلاح الدين عنبتاوي بـ 1240 صوتًا، وحمدي عبد المجيد بـ 1201 صوتًا، وحسني شاهين بـ 1176 صوتًا، ومحمد زكي قمحاوي بـ 1126 صوتًا، وصدر الدين عاشور بـ 1117 صوتًا، وعبد المجيد أبو حجلة بـ 1101 صوتًا: **الدفاع**، 16/ 9/ 1955، ص 1. ويمكن أيضًا متابعة بقية النتائج في المرجع نفسه في: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1240، الملحق 1، (20 أيلول/ سبتمبر 1955)، ص 848.

(118) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1246، الملحق 1، (8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1955)، ص 1005.

كان الاضطراب خلال هذه المرحلة مخاض نابلس وعموم المملكة لميلاد تغييرات مركزية في بنية النظام الأردني ومواقفه السياسية، بدأت بقرار تعريب الجيش الأردني، ودخول البلاد في مرحلة جديدة من الانفتاح السياسي إلى حين. وخلال هذه المرحلة تفاعل الناس مع الحرس الوطني بوصفه قوة أساسية للدفاع عن الحدود، ففي الفترة بين 10 و17 آذار/ مارس نُقلت صور مختلفة للبذل الذي قدمته المدينة، كما عموم بلدات فلسطين ومدنها[119]، وكان كنعان على رأس المتبرعين في المهرجان الشعبي المنعقد في نابلس، إضافة إلى عشرات الشخصيات والهيئات فيها[120].

الصورة (مدخل 1-5)
عام التحولات (1956)

مظاهرات صاخبة بالأردن ضد حلف بغداد

الفلسطينيون يقاطعون الوزارة الجديدة ويطالبون بفصل ضفتي الأردن

خطة جلوب العسكرية كانت تقوم على اساس الانسحاب من الضفة الغربية!
جلوب كان يشيع في الجيش روح الهزيمة بحاضراته المغرضة عن قوة العدو وضعف العرب والأردن

نابلس تستقبل جلالة الملك عهد جانات شعبية لم تشهد لها مثيلا من قبل

الفدائيون في قلب حيفا
اسرائيل تعيش على اعصابها في فزع دائم

دماء ٦٠ قتيلا يهوديا وعشرات الجرحى شهدت بنتائج معركة قلقيلية

« اليوم القتال ... وغدا فلسطين ... ياجمال ! »

٢١٥٠ شهيدا عربيا فتك بهم المجرمون اليهود في خانيونس ورفح

المصدر: من إعداد الباحث، والعناوين مستلّة، وفقًا لترتيبها من الأعلى إلى الأسفل، من: **الأهرام**، 17/ 12/ 1955، ص 1؛ **فلسطين**، 4/ 3/ 1956، ص 1؛ **فلسطين**، 8/ 3/ 1956، ص 1؛ **فلسطين**، 12/ 4/ 1956، ص 1؛ **فلسطين**، 12/ 10/ 1956، ص 1؛ **فلسطين**، 2/ 8/ 1956، ص 2؛ **فلسطين**، 20/ 12/ 1956، ص 1.

(119) نقلت صحيفة **فلسطين** نماذج للبذل المقدم في عدة أماكن، فنقلت عن نابلس: "ففي نابلس، نزع طلاب المدرسة الصلاحية الثانوية ساعاتهم وأقلامهم الحبر ومعاطفهم وجرازيهم لتقديمها لهذا الأسبوع، بالإضافة إلى تبرعاتهم النقدية"، **فلسطين**، 13/ 3/ 1956، ص 3.

(120) نقلت صحيفة **فلسطين** خبرًا عن تبرع كنعان بمئتي دينار، يُنظر قوائم التبرعات إثر المهرجان الشعبي في: **فلسطين**، 13/ 3/ 1956، ص 5.

اقتصاديًا، بدأت الصحف تنشر إعلانات حمدي كنعان لمنتجه الجديد، زيت الزيتون قليل الحموضة، بالتزامن مع الحملات الانتخابية لمجلس النواب الأبرز في تاريخ المملكة، المنعقدة في 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1956، والتي مثّل نابلس فيها: عبد القادر الصالح، وحكمت المصري (اختير رئيسًا للمجلس)، ووليد الشكعة، وفائق عنبتاوي، وكذلك مع موسم قطاف الزيتون الجديد، وهنا نموذج لهذه الإعلانات التي تصدرت الصحف آنذاك.

الصورة (مدخل 1–6)
إعلان تجاري عن حمدي كنعان

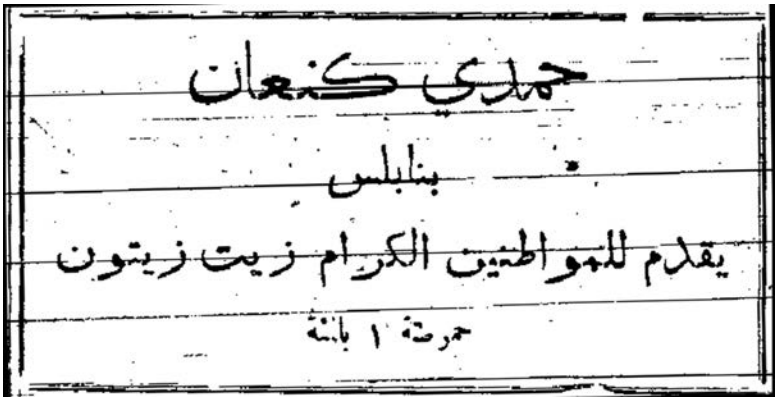

المصدر: **فلسطين**، 26/ 10/ 1956، ص 1.

انتهى الانفتاح السياسي، ودخلت المملكة الأردنية في موجة جديدة من الاضطراب كانت الأقسى منذ الحرب. حضرت نابلس في هذه الموجة واجهة للمعارضة السياسية التي عقدت مؤتمرها الأبرز في المدينة في نيسان/ أبريل 1957. كانت أبرز مظاهر الاضطراب في المدينة، إضافة إلى حملات الاعتقال والمطاردة التي طالت كوادر الأحزاب السياسية المعارضة[121]، حلُّ المجلس البلدي في

(121) عن الأجواء في نابلس آنذاك، يُنظر: طاهر المصري، **الحقيقة البيضاء: مذكرات طاهر المصري، سيرة عشناها ونرويها**، ج 1 (عمّان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2021)، ص 29–31. وتواصلت حملات الاعتقال والمطاردة ضد نشطاء الأحزاب السياسية المعارضة، وبدأت سلسلة محاكمات عسكرية خلال الشهور والأعوام اللاحقة، واستمرت إلى حين. ولتغطيات الصحف عن حملات الاعتقال والمحاكمات في المدينة، يُنظر: "أمام المحكمة العسكرية بنابلس"، **فلسطين**، 19/ 12/ 1957، ص 2؛ **فلسطين**، 2/ 2/ 1958، ص 1؛ **فلسطين**، 19/ 3/ 1958، ص 2؛ **فلسطين**، 8/ 4/ 1958، ص 4؛ =

22 أيار/ مايو 1957 استنادًا إلى تعليمات الأحكام العرفية، وتشكيل لجنة لإدارة البلدية برئاسة متصرف اللواء، وعضوية رئيس أطباء اللواء، ومهندسه ومحاسبه، ومفتش التربية والتعليم[122]. ولم تكتفِ السلطات بحلِّ المجلس، ففرضت الإقامة الجبرية عدة أسابيع على رئيسه المعيّن، الحاج معزوز المصري[123].

لم يؤثر انغلاق الأفق السياسي، كما يبدو، في غرفة تجارة وصناعة المدينة، فكانت الانتخابات الدورية لاختيار مجلسها الثاني المنعقدة في آب/ أغسطس 1957. وفي الانتخابات الجديدة، أُعيد اختيار كنعان أمين سر لهيئة المكتب، كما أُعيد انتخاب خليل طوقان رئيسًا، ومعزوز المصري نائبًا للرئيس، بينما اختير شكيب يعيش نائبًا لأمين السر، ومحمد زكي قمحاوي خازنًا، وعادل الطاهر نائبًا للخازن، وتجددت عضوية كل من: شافع سعد الدين، وحسن مصباح النابلسي، ومحمد عنبتاوي، وصديق الأسمر، وعبد الرحمن الحجاوي، وعادل الشكعة[124]. وبعد أسابيع قليلة، ألقى كنعان كلمة غرفة تجارة وصناعة نابلس في استقبال الملك حسين في نابلس[125].

= **فلسطين**، 9/ 4/ 1958، ص 4؛ **فلسطين**، 27/ 8/ 1958، ص 4؛ **فلسطين**، 3/ 10/ 1958، ص 2؛ **فلسطين**، 7/ 10/ 1958، ص 4؛ **فلسطين**، 9/ 10/ 1958، ص 4. ويُنظر نموذجًا للمطاردات، اعتقال عبد الله سليمان البياع، في: "ضبط رئاسة الحزب الشيوعي بنابلس"، **فلسطين**، 21/ 4/ 1959، ص 1. وإحالته إلى المحكمة، في: "إطلاق سراح بعض المعلمين والطلاب بنابلس"، **فلسطين**، 12/ 7/ 1959، ص 1؛ **فلسطين**، 9/ 7/ 1959، ص 1. وتغطية أحد ضباط الأمن السياسي: عبد الله العساف ولينا مشربش (إعداد)، **سامي السماعين: مذكرات ضابط أردني، خفايا وأسرار (1948–2004)** (عمّان: الآن ناشرون وموزعون، 2016)، ص 108–132.

(122) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، عدد 1334، ملحق (8 حزيران/ تموز 1957)، ص 505–506؛ **فلسطين**، 23/ 5/ 1957، ص 1. وكان متصرف نابلس لحظة القرار شاهر المحيسن الذي تولى رئاسة لجنة بلدية نابلس إلى أن نُقل أواخر كانون الأول/ ديسمبر 1958، حيث تولى أعمال متصرف اللواء وكيل وزارة الداخلية صلاح السحيمات، ثم في أواخر تموز/ يوليو 1959 عُيّن إدريس التل متصرفًا: **فلسطين**، 31/ 12/ 1958، ص 4؛ **فلسطين**، 1/ 1/ 1959، ص 2.

(123) "الحاج معزوز المصري"، **فلسطين**، 6/ 12/ 1957، ص 2. وجاء في تفاصيل الخبر: "أمرت السلطات المسؤولة بإطلاق حرية الحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس السابق، بعد احتجاز في بيته دام بضعة أسابيع".

(124) **فلسطين**، 6/ 8/ 1957. ص 4.

(125) حضر الملك حسين للمدينة في ذكرى معركة قلقيلية الأولى، فجرى استعراض عسكري، وتكريم لمقاتلي المعركة من الجيش والحرس الوطني، ونظم النادي الزراعي، إثر ذلك، حفلًا مثّله فيه نائب نابلس عبد الرؤوف الفارس، ومثّل كنعان غرفة تجارة وصناعة المدينة: **فلسطين**، 13/ 12/ 1957، ص 4؛ **الدفاع**، =

الصورة (مدخل 1–7)
سليمان النابلسي في نابلس

الدكتور وليد قمحاوي خطيبًا في حفل استقبال رئيس الوزراء سليمان النابلسي، ويُرى كنعان جالسًا إلى يمين الخطيب. المصدر: مجموعة لبيب قمحاوي الشخصية، يُظن أنها التُقطت عام 1957، تصوير استديو الغلاييني.

= 13/ 12/ 1957، ص 4. وسبق هذه الكلمة مشاركة كنعان وعدد من وجهاء نابلس، منهم رئيس بلديتها السابق معزوز المصري، وعادل الشكعة وآخرون، في برقية أرسلها رئيس لجنة البلدية المُعيَّن شاهر المحيسن إلى الملك حسين وأمين الجامعة العربية، احتجاجًا على حملة راديو "صوت العرب" من القاهرة ضد الملك: **فلسطين**، 10/ 11/ 1957، ص 1، 4. وسيُلقي كنعان كلمات ترحيبية بالملك، باسم الغرفة التجارية، في غير مناسبة: **فلسطين**، 4/ 8/ 1959، ص 4.

خلال هذه المرحلة، أمكن رصد بعض نشاط كنعان ومواقفه السياسية، خصوصًا موقفه المتعلق بتحرير بقية فلسطين المحتلة إثر حرب 1947-1949، فخلال شباط/ فبراير 1958، أُعلن تأسيس اتحاد غير كونفدرالي بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العراقية، سُمي بالاتحاد العربي، واحتفت البلاد إثر ذلك بالوفد العراقي الذي زار مدنًا فلسطينية مختلفة، وكانت نابلس أحد مواضع الاحتفاء. نظمت غرفة تجارة المدينة حفل غداء للوفد، عُقد في فندق فلسطين في نابلس، وبعد الغداء ألقى كنعان بوصفه سكرتيرًا للغرفة كلمة ترحيبية عبّر فيها عن بعض مواقفه، فقال: "باسم غرفة التجارة والصناعة، بل باسم هذه المدينة التي تفخر بعروبتها وإسلاميتها في بلدكم، بل في الشطر الجنوبي من دولتكم، أُعرب لكم عن الأمالي العظيمة التي نعقدها على اتحادنا بكم، وهو اتحاد تباركه أرواح شهدائنا وشهدائكم، ويرضي أبو الثورة العربية وباعث النهضة القومية الراقد في جوار الأقصى، الحسين بن علي، طيّب الله ثراه"[126].

وأضاف كنعان، مستحضرًا بقية فلسطين المحتلة: "وحسبنا من ثمرته أن يجعل حدودكم المؤقتة هنا على حدود المنطقة المحتلة التي سُمّيت عدوانًا 'إسرائيل'"، وأضاف: "الحدود الجنوبية الدائمة لكم ولنا وللعرب أجمعين هي شاطئ البحر الأبيض المتوسط، إنها ثغور حيفا وعكا ويافا. ستقفون يا سادتي في طريقكم إلى جنين خاشعين أمام قبور الشهداء العراقيين الذين أبلوا بالدفاع عنها. إننا نعتبر هذه القبور وديعة العراق في ترابنا المقدس، إنها منارات لنا تنير سبيل الخلاص، وبذلنا على الطريق إلى جنة الحرية والاستقلال، إنها هتافات الأجيال تصرخ في مواطنيها العراقيين، تعالوا لتمسحوا عن جباه العرب والإسلام عار الهزيمة سنة 1948". واختتم كلمته قائلًا: "إن فرحتنا بالاتحاد ستتم عند التنفيذ، فحيّ على العمل، عاش فيصل والحسين"[127].

لم يبقَ الاتحاد الذي أُعلن تأليف حكومته في أيار/ مايو 1958 طويلًا، إذ أُنهي بانقلاب على الحكم الملكي الهاشمي في العراق في 14 تموز/ يوليو 1958، وأُنهيت

(126) "استقبالات حافلة للوفد العراقي في القدس ونابلس وجنين"، **فلسطين**، 26/ 2/ 1958، ص 4.
(127) المرجع نفسه.

كذلك حياة النابلسي، إبراهيم هاشم (1886–1958)[128]، والنابلسي سليمان طوقان[129]. وعلى الرغم من حالة الاضطراب التي شهدتها المملكة بعد ذلك[130]، بدأ، في أيلول/ سبتمبر 1959، الإعداد لانتخابات جديدة للمجلس البلدي، تنافست في هذه الانتخابات، كما الانتخابات البلدية السابقة، قائمتان رئيستان؛ قائمة الجبهة الشعبية وقائمة الكتلة القومية[131]، لكن القائمتين قررتا تشكيل لجنة لاختيار أعضاء المجلس العشرة بالتراضي، وتشكّلت اللجنة المختارة من فريد عنبتاوي، وماجد عبد الهادي، وإبراهيم صنوبر.

اختارت لجنة التحكيم، لعضوية المجلس الجديد، كلًا من: الدكتور أحمد السروري، وجودت تفاحة، وتحسين كمال، وحمدي كنعان، وضياء الخماش، وحسن مصباح النابلسي، وعبد الكريم الطاهر (توفي في 10 كانون الأول/ ديسمبر

(128) كان إبراهيم محمد هاشم لحظة مقتله يشغل منصب رئيس وزراء الاتحاد العربي، وقد وُلد هاشم في نابلس وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم في المدرسة الرشيدية في القدس قبل أن ينتقل إلى إسطنبول لدراسة الحقوق. خدم في الدولة العثمانية في غير منصب، وشارك في الحرب العالمية الأولى ضابطًا في جيشها، وخدم في سورية، في العهد الفيصلي، قبل أن ينتقل إلى شرق الأردن، حيث تولى مناصب عدة كان أبرزها رئاسة الوزراء في عهدي الإمارة والمملكة. شكّل وزارته الأولى (18 تشرين الأول/ أكتوبر 1933 – 27 أيلول/ سبتمبر 1938)، والثانية (19 أيار/ مايو 1945 – 17 كانون الأول/ ديسمبر 1946)، والثالثة (21 كانون الأول/ ديسمبر 1955 – 7 كانون الثاني/ يناير 1956)، والرابعة (1 تموز/ يوليو 1956 – 27 تشرين الأول/ أكتوبر 1956)، والخامسة (24 نيسان/ أبريل 1957 – 18 أيار/ مايو 1958).

(129) كان سليمان لحظة مقتله وزيرًا للدفاع في حكومة الاتحاد العربي. وعن أجواء نابلس بعد مقتله وإبراهيم هاشم، يُنظر: "فجيعة نابلس"، **فلسطين**، 24/ 7/ 1958، ص 1، 2؛ **الدفاع**، 24/ 7/ 1958، ص 1، 2.

(130) في آب/ أغسطس 1958، بدأ الأردن سلسلة محاكمات لمتهمين بحيازة سلاح ومحاولة تنفيذ ثورة مسلحة ضد النظام، وقد حضرت نابلس في هذا النشاط الذي أشرفت عليه المعارضة في سورية وأفشلته الأجهزة الأمنية الأردنية مبكرًا بشكل مباشر وغير مباشر. عن ذلك، من وجهة نظر المعارضة، يُنظر: العطي، ص 136–137. وعن نماذج للمحاكمات والتحقيقات، يُنظر: "المحكمة العرفية العسكرية تبدأ محاكمة 27 متهمًا بتهريب الأسلحة والمتفجرات"، **الدفاع**، 4/ 8/ 1958، ص 1، 2؛ **الدفاع**، 5/ 8/ 1958، ص 1، 4. ويُنظر أيضًا: برقية استنكار كتبها المتصرف المُعيَّن رئيسًا للجنة البلدية، وكذلك برقية كتبتها غرفة تجارة المدينة تستنكر تصريحات القيادي البعثي عبد الله الريماوي بأن في نابلس جماعة تأتمر بأمره ومستعدة للتحرك: **الدفاع**، 8/ 8/ 1958، ص 4؛ **فلسطين**، 8/ 8/ 1958، ص 4.

(131) ترشح عن الجبهة الشعبية: تحسين كمال، وصدر الدين عاشور، وشافع سعد الدين، وشكيب حافظ يعيش، وعلي عبد الهادي، وحسن مصباح النابلسي، والحاج صديق الأسمر. أما الكتلة القومية فتشكّلت من: الدكتور صلاح عنبتاوي، وعادل الشكعة، ومعزوز المصري، ورضوان النابلسي، ومحمد العمد، وعبد الكريم شاهين، وعادل داود، ومدحت كنعان: **فلسطين**، 5/ 9/ 1959، ص 4.

1959)، وشافع سعد الدين، وحسن حلمي عبد الهادي، وصديق الأسمر[132]. وهي القائمة التي أُعلنت لاحقًا مجلسًا بلديًا اختير أعضائه بالتزكية[133]. وعُيّن إثر ذلك السروري رئيسًا للمجلس البلدي بقرار مجلس الوزراء في 10 أيلول/ سبتمبر 1959[134]، وانتخب أعضاء المجلس حمدي كنعان نائبًا للرئيس[135]، وتولى في غير مرحلة رئاسة البلدية بالوكالة.

الصورة (مدخل 1-8)
علامة كنعان التجارية، وإعلان لصابون حمدي كنعان

المصدر: من اليمين العلامة التجارية لحمدي كنعان، نُشرت في: **الجريدة الرسمية الأردنية**، العدد 1437، (26 آب/ أغسطس 1959)، ص 10. وعلى اليسار إعلان لصابون حمدي كنعان، نُشر في: **المنار**، 2/ 1/ 1963، ص 4.

(132) يُنظر: "بيان من الجبهة الشعبية والكتلة القومية لانتخابات المجلس البلدي في نابلس"، **فلسطين**، 5/ 9/ 1959، ص 4؛ "اتفاق ودي"، **فلسطين**، 5/ 9/ 1959، ص 1.

(133) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1441، (16 أيلول/ سبتمبر 1959)، ص 810. ويُنظر إعلان متصرف لواء نابلس ورئيس لجنة الانتخابات لمنطقة بلدية نابلس، إدريس التل، في: **الدفاع**، 7/ 9/ 1959، ص 4؛ **فلسطين**، 8/ 9/ 1959، ص 3.

(134) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1441، (16 أيلول/ سبتمبر 1959)، ص 811؛ "رئيس بلدية نابلس"، **فلسطين**، 12/ 9/ 1959، ص 4.

(135) **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1448، (27 تشرين الأول/ أكتوبر 1959)، ص 905.

في هذا الوقت، انتقل كنعان إلى مرحلة جديدة من العمل، أبرزت صعوده الاقتصادي خلال الفترة السابقة، إذ أسس مصبنته الخاصة، وهي سمة كانت تُعدّ – تاريخيًا – أحد مؤشرات الصعود الاقتصادي الأبرز في نابلس. سجّل كنعان علامته التجارية الجديدة في 10 آذار/ مارس 1959، تحت العلامة التجارية رقم 4617، الصنف 3، لإنتاج الصابون.

الصورة (مدخل 1–9)
كنعان وصابون نابلس

المصدر: مجموعة كنعان الشخصية، تاريخ الصورة ومصورها مجهولان.

سيحضر كنعان، مرة أخرى، في انتخابات غرفة التجارة والصناعة بنابلس، إذ جرت انتخابات مجلس الغرفة الجديد في آب/ أغسطس 1961، واختير كنعان في هذا المجلس نائبًا لرئيس الغرفة معزوز المصري[136]، كما اختير في كانون الثاني/

(136) كانت النتائج كالآتي: كاظم شكري المصري (334 صوتًا)، محمد سعيد العالول (288 صوتًا)، حفظي ملحس (276 صوتًا)، معزوز المصري (269 صوتًا)، عادل الشكعة (265 صوتًا)، شكيب يعيش (260 صوتًا)، حسن عبد الهادي (234 صوتًا)، حمدي كنعان (228 صوتًا)، صادق الشنار (226 صوتًا)، حافظ طوقان (222 صوتًا)، صدقي الصيفي (218 صوتًا)، صديق الأسمر (185 صوتًا): "نتيجة انتخابات غرفة التجارة بنابلس"، **فلسطين**، 4/ 8/ 1961، ص 4.

يناير 1963 ليمثّل الغرفة في اتحاد غرف التجارة والصناعة الأردنية إلى جوار حافظ طوقان[137]. وبمتابعة قرارات الغرفة المتوافرة، يظهر أنها، على الرغم من سيطرة الجهاز الحكومي الكاملة على المنافذ التي كان من الممكن أن تسهم فيها في تطوير الوضع الاقتصادي في المدينة، فقد شكّلت الغرفة حلقة وسيطة مع هذا الجهاز، وكما يبدو، فقد أدّت أيضًا دور جماعات الضغط، بهدف تعزيز وتحسين موقف تجار وصناعيي المدينة، وتطوير الحياة الاقتصادية فيها[138]، وتجاوزت في أحيان هذا الدور لتمارس دورًا خدميًا لصالح المدينة عمومًا، أو لتعبّر عن مواقف سياسية[139]. وكما سيتبيّن لاحقًا، ازداد حضور كنعان، حيث تصدّر نتائج الانتخابات البلدية اللاحقة، فتعزز موقعه في المدينة وتمهّد للآتي.

3. كنعان رئيسًا للمجلس البلدي

تواصل حضور كنعان في يوميات أكرم زعيتر 1962–1963، فأظهرت اليوميات بعض مواقفه، فحين عُيّن زعيتر سفيرًا للأردن في سورية، كان كنعان ممن شجّعه على قبول السفارة بعدما لم ينجح في إقناعه وآخرين بقبول الوزارة[140]. وفي

(137) "قرارات غرفة نابلس"، **فلسطين**، 30/ 1/ 1963، ص 2. ويُنظر تجديد هذا القرار في: "الشؤون التجارية بنابلس"، **المنار**، 1/ 4/ 1964، ص 2.

(138) للاطلاع على نماذج للأدوار التي أدتها غرفة التجارة والصناعة، يُنظر: المرجع نفسه؛ "معارضة إنشاء شركة موحدة للتسويق في مذكرة من غرفة نابلس لوزير الاقتصاد"، **المنار**، 5/ 1/ 1965، ص 6؛ **فلسطين**، 5/ 1/ 1965، ص 2؛ "غرفة نابلس تطلب إرجاء قانون العمل"، **فلسطين**، 1/ 2/ 1965، ص 2.

(139) يُنظر مثلًا مطالبة الغرفة وزارة الصحة بتخفيض أسعار الأدوية، ومطالبة وزارة الداخلية والمعارف بإعادة الإشراف على ضريبة المعارف للمجلس البلدي في المدينة: **فلسطين**، 6/ 4/ 1962، ص 2. وكذلك مبادرتها إلى مطالبة وزارة الاقتصاد بتمكين شركة المصفاة من توزيع المحروقات بشكل مباشر على المواطنين، ووضع حد للاستغلال غير المشروع، وهي المبادرة التي تبناها اتحاد الغرف التجارية الأردنية، وشكّلت لمتابعتها لجنة تكوّنت من: حمدي كنعان، إبراهيم منكو، عبد الكريم الكيالي، كاظم حسونة: **المنار**، 28/ 10/ 1963، ص 2؛ "مذاكرات ومناقشات مجلس النواب الأردني الثامن"، **ملحق الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، مج 8، العدد 12 (17 كانون الأول/ ديسمبر 1963)، ص 413–414. وتدخّل الغرفة لدى سفير الجمهورية العربية المتحدة في مسألة تكاليف الدراسة المطلوبة من أبناء المدينة في مصر: **المنار**، 18/ 8/ 1965، ص 1، 6؛ **فلسطين**، 18/ 8/ 1965، ص 5. ومطالبتها وزارة الصحة بخصوص إنشاء المستشفى الجراحي الجديد: **فلسطين**، 12/ 6/ 1965، ص 6. ويُنظر كذلك: "إلى مقام المليك"، **فلسطين**، 7/ 7/ 1965، ص 4.

(140) يوميات أكرم زعيتر المخطوطة، 28/ 2/ 1962، محفوظة في أرشيف ذاكرة فلسطين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات؛ المرجع نفسه، 3/ 6/ 1962. لا بد من الإشارة إلى أن موقف زعيتر/ =

15 كانون الثاني/ يناير 1963 تحدث زعيتر عن زيارة كنعان لسورية ونزوله ضيفًا عليه. وفي لقائهما هذا، تطرّق كنعان إلى الوضع في الأردن، فتحدث عن أخطاء الحكومة في معالجة الكثير من الأمور، لكن زعيتر لم يفصّل[141]. وسجل زعيتر في 20 كانون الثاني/ يناير 1963 طلبه في اتصال هاتفي من رئيس الوزراء، وصفي التل، أن يستدعي إليه كنعان ليستشيره في أوضاع نابلس[142].

توترت الأوضاع في نابلس من جديد في نيسان/ أبريل 1963 إثر استعدادات إعلان ميثاق 17 نيسان/ أبريل بين الجمهورية العربية المتحدة وسورية والعراق لإعلان الوحدة. عن هذه اللحظات، كتب زعيتر يوم 21 نيسان/ أبريل 1963: "استيقظتُ على صوت عسكري يذيع من مكبر صوتٍ في سيارة: 'لا يزال منع التجول ساري المفعول'"[143]. وازداد التوتر بعد فشل حكومة سمير الرفاعي في الحصول على ثقة مجلس النواب الأردني، والقرار الملكي بحل مجلس النواب. هنا، وكما ينقل زعيتر عن متصرف لواء نابلس عادل عبد المهدي الشمايلة (1923–1999)[144]، اجتمع في المجلس البلدي، بناءً على طلبه، بعد مظاهرات القدس وجنين، واضطراب الأوضاع في نابلس، وكان رأي المجلس مطالبة الملك حسين بعدم تدخل الجيش في ضبط الأمن في نابلس، للحد من تفاقم الوضع[145].

مقابل ذلك، تكفّل المجلس بالحيلولة دون إضراب أهالي المدينة، لكنه لم يستطع الوفاء بتعهده، وازداد الاضطراب، وكتب زعيتر عن اتصاله مع كنعان في 17 نيسان/ أبريل 1963، ودعوته لقضاء ليلة في بيارته في الأغوار (الجفتلك). ونقل

= كنعان من شخص وصفي التل تغير خلال العام 1962 بشكل جذري، فمن "خصومة" إلى تعاون أولي، فاشتغال ضمن ما يمكن اعتباره محورًا واحدًا. ومن أبرز مؤشرات ذلك ما نقله أكرم زعيتر في يومياته، فعلى مائدة حمدي كنعان وصل خبر أن الملك حسين عدل عن تكليف وصفي التل بالوزارة، فعقّب كنعان حين سمع النبأ: "بعض الشر أهون من بعض": المرجع نفسه، 26/ 1/ 1962.

(141) المرجع نفسه، 15/ 1/ 1963.

(142) المرجع نفسه، 20/ 1/ 1963.

(143) المرجع نفسه، 21/ 4/ 1963.

(144) نُقل الشمايلة من عمله متصرفًا للواء السلط إلى متصرفية نابلس في كانون الثاني/ يناير 1963، وكان يُثار آنذاك حديث عن إجراء تغييرات في وضع لواء نابلس، وترفيعه إلى محافظة مع بداية السنة المالية 1963–1964، ليصير الشمايلة محافظًا لها: **المنار**، 10/ 1/ 1963، ص 1.

(145) يوميات أكرم زعيتر المخطوطة، 21/ 4/ 1963.

كنعان لزعيتر صورة الوضع في السوق، حيث يقع محله التجاري، فأشار إلى إغلاق السوق احتفالًا بإعلان الجمهورية العربية المتحدة الجديدة، وذكر أن بعض الطلاب والطالبات يهُمّون بالتظاهر، ولكن الشرطة تمنع ذلك بمرابطتها أمام المدارس. وخلال مغادرة كنعان وزعيتر المدينة، كانت قد انطلقت تظاهرة كبيرة تهتف لجمال عبد الناصر وترفع صورته وعلم الجمهورية الجديدة[146].

بعد عودتهما في اليوم التالي، انتشرت دعوات لتظاهرات طلابية، وشاع نوع من السخرية والتهكم تجاه كل من يحاول من وجهاء المدينة تهدئة الأوضاع. سجّل زعيتر، في 23 نيسان/ أبريل 1963، نبأ اعتقالات في المدينة، حيث اعتُقل باسل حمدي كنعان وشخصيات أخرى بعضهم كان ناشطًا في قوى المعارضة[147].

استقرت الأحوال المضطربة نسبيًا[148]، وشهد حزيران/ يونيو 1963 حدثًا استثنائيًا بإصدار التقرير الأولي لخصائص السكان وتوزيعهم في لواء نابلس[149].

---

(146) المرجع نفسه.

(147) المرجع نفسه، 23 نيسان/ أبريل 1963. جرت سلسلة من الاعتقالات للشخصيات العامة، كان أبرزها اعتقال عدد من النواب، إضافة إلى اعتقالات في صفوف المتظاهرين. وخلال الشهور اللاحقة، ستتحمل الهيئات النسائية في المدينة عبء المطالبة بالإفراج عن المتظاهرين وعموم المعتقلين، حيث ترسل الهيئات النسائية في المدينة، ممثلة بعندليب العمد ورشدة المصري، برقية تطالب بالإفراج عن معتقلي 17 نيسان/ أبريل 1963، ثم ترسل برقية ثانية إلى رئيس الوزراء بمناسبة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان للمطالبة بالعفو عن الموقوفين: **المنار**، 11/ 12/ 1963، ص 4. وبالتزامن مع اجتماع المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس، أُرسلت برقية جديدة إلى الملك، موقَّعة من عندليب العمد ورشدة المصري وفائزة عبد المجيد، نيابة عن هيئات نابلس النسائية تطلب العفو عن الموقوفين إداريًا. واستغلت المصري والعمد اجتماعهما المباشر مع الملك في منزل حكمت المصري لتكرار الطلب: **فلسطين**، 29/ 5/ 1964، ص 2؛ **فلسطين**، 30/ 5/ 1964، ص 5. ويظهر أن الجو العام المرافق للمؤتمر الفلسطيني دفع لإعلان قرار بالإفراج عن المعتقلين خلال هذه المرحلة: "أسماء 31 معتقلًا صدر القرار بالإفراج عنهم"، **فلسطين**، 5/ 6/ 1964، ص 1؛ **المنار**، 5/ 6/ 1964، ص 1، 4.

(148) كانت هذه الأحداث دافعًا لقيادة أركان الاحتلال لتطوير خطط تنفيذية لاحتلال بعض مناطق فلسطين الوسطى، فوُضعت خطة "غرانيت"، والتي شملت الاستعداد لإنشاء حكم عسكري فيها. عن هذه الخطة، يُنظر: شلومو غازيت، **العصا والجزرة: الحكم الإسرائيلي في يهودا والسامرة** (تل أبيب: زموراه- بيتان، 1985) [بالعبرية]، ص 17-18، 26-32.

(149) دائرة الإحصاءات العامة، **أول تعداد عام للسكان والمساكن 18 تشرين الثاني 1961: التقرير الأولي رقم 8، خصائص السكان في لواء نابلس** (عمّان: دائرة الإحصاءات العامة، 1963). وكان هذا التقرير جزءًا من التقارير الصادرة عن أول تعداد عام للسكان والمساكن الذي أُجري في 18 تشرين الثاني/ نوفمبر 1961، بالاشتراك مع بعثة العمل الأميركية. تضمن هذا التقرير خصائص السكان وتوزيعهم في لواء =

وقد بلغ عدد سكان قطاع مدينة نابلس الذي حُدد جغرافيًا بحدود بلدية نابلس 45,768 نسمة؛ 23,224 ذكرًا، و22,544 أنثى[150]، بينما بلغ مجموع سكان لواء نابلس التعدادي الذي تطابقت حدوده مع حدود لواء نابلس آنذاك 333,191 نسمة؛ 92,261 نسمة من سكان الحضر، و240,930 من سكان الريف، يُضاف إليهم 8557 نسمة من سكان الخيام في اللواء[151]، بينما كان المجموع العام لسكان الأردن 1,706,226 نسمة. وبهذه الأرقام، حل لواء نابلس ثالثًا من حيث عدد السكان بعد لواء عمّان الذي بلغ عدد سكانه 433,618 نسمة، ولواء القدس الذي بلغ عدد سكانه 344,270 نسمة، وحل قضاء نابلس أولًا من حيث عدد السكان بين أقضية لواء نابلس، فبلغ عدد سكانه 170,452 نسمة، في حين بلغ عدد سكان قضاء طولكرم 83,600 نسمة، وسكان قضاء جنين 79,139 نسمة[152]. وحلّت مدينة نابلس في المرتبة الرابعة من حيث عدد السكان، بعد عمّان (246,475 نسمة)، والزرقاء (96,080 نسمة)، والقدس (60,488 نسمة)[153]. ووفقًا للبيانات، واعتمادًا على ما قدمه الأفراد المقيمون في نابلس، فقد بلغ عدد المقيمين خارج المدينة 4419 نسمة، منهم 3014 ذكرًا و1405 أنثى[154].

بعد شهور قليلة من صدور التقرير الأولي للتعداد العام في لواء نابلس، تقررت الانتخابات البلدية في أيلول/ سبتمبر 1963، وبدأت المعركة الانتخابية في المدينة مبكرًا. شارك كنعان في هذه الانتخابات بقائمة ترأسها[155]، قابلها أول الأمر قائمة

= نابلس، وتبع هذا التقرير لاحقًا في نيسان/ أبريل 1964 المجلد الأول الذي يتضمن الجداول النهائية: الخصائص العامة للسكان، الوضع الجغرافي، الخصائص الشخصية والمدنية، الخصائص التعليمية، الإخصاب والأردنيون، خارج الأردن. وفي أيار/ مايو 1964، أُصدرت الجداول النهائية: الخصائص الاقتصادية للسكان.

(150) د. ب. كليمنهاجا (إشراف)، **التعداد العام الأول للسكان والمساكن 18 تشرين الثاني 1961، مج 1: الجداول النهائية الخصائص العامة للسكان** (عمّان: دائرة الإحصاءات العامة، 1964)، ص 8.

(151) المرجع نفسه، ص 10، 28.

(152) المرجع نفسه، ص 31.

(153) المرجع نفسه، 13.

(154) المرجع نفسه، ص 315.

(155) يوميات أكرم زعيتر المخطوطة، 16/ 8/ 1963.

ضمت كتلة كنعان كلًا من: حمدي طاهر كنعان، معزوز بدوي المصري، نايف أبو غزالة، حافظ داود طوقان، أحمد النابلسي، صديق الأسمر، حسن الخطيب، الدكتور جمال الخياط. ويُنظر بيان الكتلة لشكر جمهور =

للدكتور صلاح الدين عنبتاوي. حفظت لنا مكاتبات كنعان وزعيتر بعضًا من تفاصيل هذه المعركة وتفكك القائمة المنافسة، فقد كتب كنعان إلى زعيتر الذي غادر نابلس صباح 17 آب/ أغسطس عائدًا إلى دمشق: "أكتب إليك وقد عدت لتوّي من اجتماع انتخابي من الاجتماعات الليلية التي نعقدها بالأحياء المختلفة، ولا تسل عن أخيك الخطيب الأوحد وهو يرتجل بلغة بين الفصحى والعامية، وكم يسرني أن أسمع من الزملاء ثناءً وتقديرًا، فيقولون كلمة موفقة. والظريف أن ما أقوله الليلة يختلف عن قول الأمس، وإن لم يختلف بالجوهر والموضوع، لأنني لا أستسيغ تكرار نفس العبارات. مالنا...

بعد سفرك حصل انشقاق في الجبهة الأخرى، بسبب عكننة الدكتور [صلاح الدين عنبتاوي]، وعدم موافقته على [.....] روحي شاهين، وروحي الشخشير، وصادق الشنار، فانقسمت الجبهة، وانسحب منها الدكتور وحسن عبد الهادي و[وليد عبد الرزاق] استيتية، وأبلغ الدكتور أقاربه في حفلة غداء دعاهم إليها انسحابه كليًا من الترشح، ولكن أركان الحزب أصروا عليه بالنزول في كتلة مستقلة، ضمّت أخيرًا حسن عبد الهادي واستيتية ونهاد كمال [.....]. وأما كتلتنا فقد انضم إليها أمس نايف أبو غزالة الذي وصل من الكويت أخيرًا، وقد قوبل دخوله معنا بالتقدير ممن يعرفونه جيدًا، وأصبحنا به ثمانية.

الجو بالنسبة لنا يستمر بالتحسن، ونتوقع تأثيرًا سيئًا بالنسبة لخروجه – على الدكتور – من الكتلة، وللأسباب المذكورة آنفًا، لأنه أصبح عرضة للهجوم من بعض أصدقاء الأمس"[156].

أضاف كنعان، في رسالة لاحقة لزعيتر، تفاصيل أخرى عن المعركة، وتفكك القوائم المنافسة، فكتب بتاريخ 27 آب/ أغسطس 1963: "بعد أن حاول الدكتور [صلاح الدين عنبتاوي] تأليف كتلة خاصة وضم نهاد [كمال]، عاد فعدل نهائيًا، وانفرطت مسبحة الـ 4 حبات، فعاد نهاد إلى قواعده، وبقي حسن عبد الهادي

= الناخبين في: **المنار**، 10/ 9/ 1963، ص 1؛ **فلسطين**، 10/ 9/ 1963، ص 1؛ **الجهاد**، 10/ 9/ 1963، ص 1.

(156) "رسالة حمدي كنعان إلى أكرم زعيتر"، بتاريخ 25/ 8/ 1963، وثيقة مخطوطة محفوظة في أرشيف ذاكرة فلسطين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

واستيتية منفردين، جميع هذه التطورات كانت لخير. الأسهم آخذة في الارتفاع، والمبايعة حصلت من الجمهور مقدمًا، وكل شيء على ما يرام"[157].

في ضوء ذلك كله، جرت انتخابات المجلس البلدي في مدينة نابلس في 7 أيلول/ سبتمبر 1963، وأُعلنت نتائجها صباح 8 أيلول/ سبتمبر، بعد تأخر قليل في الفرز. تصدّر كنعان النتائج أول مرة في الانتخابات البلدية، فعكس ذلك تعزُّز حضوره في المجال العام في المدينة، حيث حصل على 2174 صوتًا، وحل ثانيًا الحاج معزوز المصري بحصوله على 2138 صوتًا[158].

---

(157) "رسالة حمدي كنعان إلى أكرم زعيتر"، بتاريخ 27/ 8/ 1963، وثيقة مخطوطة محفوظة في أرشيف ذاكرة فلسطين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وختم كنعان رسالته هذه شاكرًا اهتمام زعيتر، فكتب: "لا أدري إن كان يتوجب عليّ الشكر لجهودك، (لأنني أراها بائخة) لأنك إنما تعمل لنفسك، لا حرمنا الله منك".

وفي الختام تشكلت الكتلة الرئيسة المنافسة لكنعان باسم الجبهة الشعبية، ووقع على بيانها كل من: محمد زكي قمحاوي، محمد أحمد العمد، عادل أحمد الشكعة، فوزي قادري، فهمي الصيفي، شكيب حافظ يعيش، روحي شاهين، صادق الشنار، روحي حافظ الشخشير: **فلسطين**، 12/ 9/ 1963، ص 1. كما كان من بين المرشحين المستقلين شريف صبوح. يُنظر بيانه الانتخابي في: **فلسطين**، 4/ 9/ 1963، ص 4. وشوكت عبد الرحيم النابلسي: **الجهاد**، 7/ 9/ 1963، ص 1. وحسن حلمي عبد الهادي: **المنار**، 10/ 9/ 1963، ص 1؛ **فلسطين**، 10/ 9/ 1963، ص 1؛ **الجهاد**، 10/ 9/ 1963، ص 1. ووليد عبد الرزاق استيتية: **فلسطين**، 12/ 9/ 1963، ص 1. وبلغ مجموع المرشحين، وفقًا لإعلان رئيس الانتخابات المتصرف عادل الشمايلة، 31 مرشحًا، فإضافة إلى من ذُكر سابقًا، ترشح كل من: إحسان نجيب النمر، سعيد محمد القاسم، مأمون ماجد القطب، راضي عبد الرحيم التميمي، يوسف التكروري، زيد أديب مسروجة، علي عارف عبد الهادي، عبد الله أبو غزالة، شوكت النابلسي، جمال أسعد المصري، نبيه الصمادي: **فلسطين**، 4/ 9/ 1963، ص 2؛ **الدفاع**، 4/ 9/ 1963، ص 2.

(158) حل في المقعد الثالث عادل الشكعة بحصوله على 1917 صوتًا، ثم محمد العمد (1823 صوتًا)، فحسن حلمي عبد الهادي (1541 صوتًا)، فحافظ طوقان (1532 صوتًا)، فوليد استيتية (1500 صوت)، فصديق الأسمر (1467 صوتًا)، ففوزي قادري (1438 صوتًا)، وأخيرًا الدكتور جمال الخياط الذي حصل على 1277 صوتًا: **المنار**، 9/ 9/ 1963، ص 1، 4؛ **الدفاع**، 9/ 9/ 1963، ص 1، 4؛ **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1713، (10 تشرين الأول/ أكتوبر 1963)، ص 1368. وعُيّن في مجلس الوزراء لاحقًا، لاستكمال المجلس، حسن الخطيب، ومدير صحة لواء نابلس. كان الدكتور نصفت كمال لحظة التعيين يشغل منصب مدير الصحة، وبعد تسلمه وزارة الشؤون الاجتماعية نهاية تموز/ يوليو 1965، قرر مجلس الوزراء، في نيسان/ أبريل 1966، إسناد عضوية المجلس إلى مدير الصحة الجديد الدكتور أنيس محمد الإيراني: "تعيين أنيس الإيراني"، أرشيف مكتبة بلدية نابلس، تصنيف الملف: 8/ 15؛ **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1721، (20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1963)، ص 1532؛ **المنار**، 30/ 10/ 1963، ص 2؛ **فلسطين**، 30/ 10/ 1963، ص 2؛ **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1919، (10 أيار/ مايو 1966)، ص 780.

الصورة (مدخل 1-10)
بيان كتلة كنعان الانتخابية لأهالي نابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها المواطن الكريم

شعوراً منا بالمسئولية ، وتقديراً لواجبنا تجاه مدينتنا ، قررنا ترشيح انفسنا في انتخابات المجلس البلدي متكلين على الله تعالى . وانا نتوجه اليك بندائنا هذا ، لتمنحنا ثقتك ، حتى نتمكن من اداء واجبنا على الوجه الذي يرضي الله والضمير ، ويهدف الى رعاية المصلحة العامة . وانا لن نكيل وعوداً لاستطيع تحقيقها ، ولا نرسم برنامجاً خيالياً ، متجاهلين الممكنات بية افراد الناخبين بانتخابنا ، ولكنا نصدر هذا البيان لنقطع العهد امام الشعب ، على ان يكون امامه في خدمة المصلحة العامة ، حريصين عليها الحرص كله ، واضعين امام عينيك الحقائق التالية .

ان موازنة البلدية للعام الحالي زادت على الـ ٤٠٠ الف دينار ، وستطرد هذه الزيادة كلما اتسعت المدينة وتضاعفت خدماتها ، بسبب شمولها مناطق عسكر وبلاطه ورفيديا . ولذا فان عضوية المجلس البلدي لم تعد طريقا للوجاهة ، وانما هي خدمة ، خيرة ، مسئولية وجهد .

أيها المواطن الكريم !

انك حين تدلي لانتخاب المجلس البلدي الجديد ، انما تضع في اعناقه امانة ادارة مشروع الكهرباء الذي كلف حتى الآن ٦٠٠ الف دينار ، ومشروع الماء الذي كلف ويكلف الملايين فضلا ، هذا فضلا عن الاشراف على ادارة جهاز ضخم من الموظفين ، ومصلحة الخدمات المختلفة للمدينة . فلا غرو اذا كنا نناشد ضميرك ، بألا تمنح ثقتك الا من كنت واثقاً من كفايته ومدى تقديره لهذه المسئولية واستعداده لتحملها .

ايها المواطن الكريم !

اننا نعلم ان المجلس الحالي قد قطع شوطاً في مضمار العمران ، فلا بد لنا من التأكيد بأننا سائرون في هذا السبيل على اقصى ما تتسع له امكانات البلدية ، مع قطع العهد على بذل كل جهد لحل ازمة الماء في اقرب وقت .

والله نسأل ان يلهمك الصواب وان يقدرنا على خدمة مدينتنا العزيزة

الحاج معزوز المصري - صديق الاسمر - الدكتور جمال الخياط - حسن الخطيب
حمدي كنعان - الحاج احمد النابلسي - حافظ طوقان - نايف ابو غزالة

المصدر: الأوراق الشخصية لحمدي كنعان.

ووفقًا للتعديلات القانونية المشار إليها سابقًا، كان تعيين رئيس البلدية من مسؤولية مجلس الوزراء، بتنسيب من وزير الداخلية صالح المجالي. صرّح المجالي، إثر إعلان نتائج الانتخابات، أن الوزارة تعمل على وضع تنسيباتها لرؤساء البلديات مطلع الأسبوع، لتبدأ المجالس الجديدة بممارسة صلاحياتها[159]، لكن

(159) "تعيينات رؤساء البلديات"، **المنار**، 11/ 9/ 1963، ص 1. وعن الأجواء السابقة لتعيين رؤساء البلديات، والصراعات اللاحقة لعملية الانتخاب وصولًا إلى التعيين، يُنظر إضافة إلى ما كُتب في المتن: "رؤساء البلديات"، **المنار**، 12/ 9/ 1963، ص 2؛ "رئاسة البلديات"، **المنار**، 3/ 10/ 1963، ص 2. وأكد =

قرار تعيين كنعان في رئاسة المجلس البلدي الجديد تأخر حتى 19 تشرين الأول/ أكتوبر 1963. وسبق إجراء الانتخابات سعي لتعيين كنعان في رئاسة البلدية، إذ كتب زعيتر في يومياته ليوم 17 آب/ أغسطس أنه حادث نائب رئيس الوزراء، سعيد المفتي، بشأن معركة الانتخابات البلدية ورئاسة البلدية المقبلة، وأصرّ على ترشيح حمدي كنعان للرئاسة، وأضاف زعيتر أنه سبق أن حدّث الملك بذلك، ونقل زعيتر عن المفتي إقراره بأن كنعان هو خير من يصلح لرئاسة البلدية.

سجل زعيتر ما سمعه مساء الأربعاء 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1963 من إذاعة "عمّان" بصدور المرسوم الملكي بتعيين بعض رؤساء البلديات، وعلّق زعيتر: "وقد سرني جدًا أن يتم تعيين صديقي السيد حمدي كنعان رئيسًا لبلدية نابلس، فالرجل قد عُرف باستقامته، وبُعد همته، وسلامة تفكيره، وإيثاره المصلحة العامة على أي اعتبار". وأضاف: "وقد تطوعت عناصر كثيرة لمقاومته في الانتخابات، ففاز بكثرة أصوات الناخبين، ولمقاومة تعيينه رئيسًا، فأخفقت والحمد لله"[160].

وصار كنعان رئيسًا للبلدية.

ماذا بعد؟

سعى هذا الكتاب في بنيته إلى إتاحة مذكرات حمدي طاهر كنعان وأوراقه، كما وثائقه حول احتلال مدينة نابلس يوم 7 حزيران/ يونيو 1967، وما تلاها من أيام حتى استقالته في آذار/ مارس 1969. وكذلك نصوص وثائقية مختارة متعلقة

= وزير الداخلية في تصريح صحافي **للمنار** أن الحكومة لن تتحدى إرادة الشعب، وأنها تراعي موضوع الانسجام بين الأعضاء، وأن المصلحة ستُراعى إلى حد بعيد جدًا، بحيث يأتي الرئيس المعيّن ممثّلًا لغالبية أعضاء المجلس: "وزير الداخلية يتحدث للمنار عن الانتخابات البلدية"، **المنار**، 18/ 9/ 1963، ص 1، 4. ويُنظر: "لماذا تأخرت تعيينات رؤساء البلديات؟"، **المنار**، 11/ 10/ 1963، ص 1.

(160) المرجع نفسه، 17/ 10/ 1963. صدر قرار تعيين كنعان لرئاسة المجلس البلدي في نابلس، في جلسة المجلس المنعقدة في 16/ 10/ 1963: **الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية**، العدد 1721 (20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1963)، ص 1533؛ **المنار**، 17/ 10/ 1963، ص 1؛ **فلسطين**، 17/ 10/ 1963، ص 1؛ **الجهاد**، 17/ 10/ 1963، ص 3. ويعكس دور زعيتر نموذجًا مغايرًا لما قدمه موشيه معوز، ويوضح جزءًا من طبيعة سيطرة النظام المركزي على المحليات، وازدياد حضور الملك المباشر خلال سنوات الستينيات، ويبرز إمكانية حضور المحلي غير المباشر، وتدخله في قرارات السلطة المركزية.

بمحطات مهمة لحقت هذه الفترة، كالموقف بعد حوادث أيلول/ سبتمبر 1970، والموقف من الانتخابات البلدية. حُققت هذه النصوص في القسم الثاني ضمن محاور أساسية، قُسّمت بدورها إلى عناوين فرعية استحدثها الباحث جميعها. كما أُعيد ترتيب بعض مواد المذكرات وعموم الأوراق بما يحفظ وحدة السياق الموضوعي والزمني.

اعتمد التحقيق على أربع نسخ من مذكرات كنعان، ثلاث منها خُطت بيده على دفاتر[161]، ونسخة صُفَّت على آلة طابعة في 83 صفحة هي مسوّدة كنعان الأخيرة لمذكراته، وكون هذه النسخة هي آخر النسخ التي اعتنى بها كنعان، اعتُبرت إبرازة أخيرة واستند التحقيق اللاحق عليها. وأُلحقت بعض النصوص التي سقطت من النسخة المطبوعة، كمقدمة المذكرات العامة، بالنص المحقَق، مع توضيح المصدر في هوامش النص.

كما عمد الباحث إلى إثبات هوامش تفصيلية تقارن بين ما قدّمه كنعان في مذكراته والمصادر الأولية المختلفة. خصوصًا أوراق كنعان الأخرى، ولعل أبرزها يوميات خطها سكرتير البلدية يحيى عودة، تبدأ صفحتها الأولى بتاريخ 26 آب/ أغسطس 1968، وتنتهي صفحتها رقم 111 بتسجيل يومية 14 تموز/ يوليو 1969. حفظت هذه اليوميات تفاصيل أولية عن نشاط كنعان وأبرز الأحداث التي شهدتها المدينة، وتضمنت بعض التصريحات والبيانات والوثائق. وكما أكد كنعان في مقدمته، فإن اليوميات كانت أحد أبرز مصادره لتزمين مذكراته.

واستكمالًا لما قُدّم في المدخل من محاولة لبناء سيرة كنعان ونابلس، فإن غاية الهوامش بيان السياق العام للمذكرات، في محاولة لتقديم سردية تاريخية متكاملة لكنعان ونابلس، ونموذج مصغر لما جرى لبقية مدن فلسطين بعد حزيران/ يونيو

(161) خطّ كنعان المسودة الأولى على دفتر مسطر 24×17 سم، ورُقّمت صفحاتها فبلغت 71 صفحة، وتبدأ الصفحة الأولى بالبسملة، وبتاريخ 28 حزيران/ يونيو 1969، ثم نص المذكرات مباشرة من غير تقديم. أما المسودة الثانية فكانت بعنوان "الدفتر الثاني" وكُتبت في دفتر مسطر 24×17 سم، وابتدأت المسودة بجدول يُظهر جدول سفر كنعان في الفترة آذار/ مارس 1968 وحتى 18 حزيران/ يونيو 1969، ورُقّمت في الدفتر 50 صفحة، يضاف إليها 5 صفحات لم تُرقّم، وتمتاز عن المسودة الأولى بإضافة صفحة المقدمة. أما المسودة الثالثة والأخيرة فقد خُطّت على دفتر مسطَّر 24×17 سم، ورُقّمت 78 صفحة من صفحاتها، يُضاف إليها صفحتان غير مرقمتين. وكالمسودة الثانية يبدأ النص بمقدمة.

1967؛ الاحتلال، والصمود، والمقاومة، والنقاش السياسي العام. ولهذه الغاية أيضًا أُضيفت وثائق استُخرجت من أراشيف محلية، كان أبرزها أرشيف بلدية نابلس، ومجموعة أكرم زعيتر الشخصية، وكذلك أراشيف صهيونية مختلفة كان أبرزها أرشيف دولة الاحتلال وأرشيف جيشها، كما روجعت مئات الأخبار المنشورة بالعربية والعبرية والإنكليزية.

إضافة إلى الهوامش التوضيحية وهوامش الإحالة، أُضيف إلى عموم الكتاب هوامش تترجِم لمن أمكن الترجمة لهم من شخصيات ذُكرت في أوراق كنعان؛ مذكراته ووثائقه. وعُني في هذه التراجم أن تقتصر على ما يخدم المتن، فتركزت في جُلّها على الاهتمام بالمحطات الرئيسة لحياة تلك الشخصيات حتى عام 1969، إلا إذا كان ثمة أثر للمحطات اللاحقة في حياتها على المتن[162]. كما عُني بضبط

(162) على الرغم من عدد المصادر الكبير نسبيًا، والتي تُعنى بالتراجم لشخصيات فلسطينية، فإنّ مجمل تراجم هذا الكتاب أُسست بالعودة إلى مصادر أولية مختلفة، أبرزها: الصحف، والوثائق الرسمية، كما اليوميات والمذكرات، وكتب السير، والجريدة الرسمية الأردنية، والمقابلات، وكتب التاريخ المحلي، وذلك لأنّ معظم التراجم المنشورة تعاني إشكاليات، وفقدان جزء كبير منها للمعلومات المدققة، وكان من غير العملي إثبات مصدر كل ترجمة في الهوامش، إذ إنّ بعض التراجم استُخرجت بيانتها من عشرات المراجع، أما التراجم التي لم يتوافر مزيد من المعلومات حولها حتى الآن فالأمل أن يكون الكتاب مدخلًا لإعادة بنائها لاحقًا.

ومن أبرز المصادر التي رجع إليها الباحث في تأسيس تراجم هذا النص، علمًا أنه أُثبت في بعض الهوامش إحالات إلى مصادر أخرى اعتمدها، كما وأُثبتت في القائمة النهائية للمصادر والمراجع، وهذه المراجع هي: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 1، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 2، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 3، ط 2 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 4 (دمشق: دار الوثائق، 2000)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 5 (دمشق: دار الوثائق، 2006)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 6 (دمشق: دار الوثائق، 2007)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 7 (دمشق: دار الوثائق، 2010)؛ محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين**، ج 8 (دمشق: دار الوثائق، 2013)؛ عادل مناع، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800–1918)**، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995)؛ مرسي الأشقر، **مشاهير الرجال في المملكة الأردنية الهاشمية الحلقة الأولى لعام 1955–1956** (القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، [د. ت])؛ نايف حجازي ومحمود عطا الله، **شخصيات أردنية** (عمّان: المطبعة الأردنية، 1973)؛ بشير عبد الغني بركات، **شخصيات القدس في القرن العشرين** (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي، 2010)؛ بشير عبد الغني بركات، **حقوقيو القدس في القرن العشرين** (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي– قسم الأبحاث، 2019)؛ بشير عبد الغني بركات، **أطباء القدس في القرن العشرين** (القدس: مؤسسة دار الطفل العربي– قسم الأبحاث، 2017)؛ رشيد أبو غيدا وعدنان بعيون وإلياس سمعان (جمع وترتيب)، **من هو؟** (عمّان: المؤلفون، =

تأريخ ما أمكن من وقائع وحوادث، ليكون القُرّاء على دراية بالسياق الزمني للحوادث والوقائع وتطوراتها. كما اعتُني بتزويد النص بما توافر لدى الباحث من صور متعلّقة بالكتاب، وخرائط توضيحية بُنيت لخدمته خصوصًا.

ولضرورة دقة التحقيق، اعتمد الباحث بعض الإشارات والعلامات في النصوص المحققة؛ فاستخدم المركنين [ ] في النص المحقق في حال تعديل بعض مفرداته، لتعذر قراءتها قراءة سليمة كما وردت في الأصل، من غير الكلمات التي أُعيد ضبطها إملائيًا، كما هو موضّح في هذه الملاحظة، حيث عُدّلت تلقائيًا ولم تُميَّز بأي إشارة. كما استُخدم المركنان لحصر ما أضافه المحقق، سواء أكان حرفًا أو كلمة أو تعقيبًا أو ملاحظة لما يقتضيه السياق. مع الإشارة إلى أنّ جميع العناوين الرئيسة والفرعية للقسم الثاني "التحقيق" هي من صياغة الباحث، وإن لم توضع بين مركنين.

وكذلك وُضعت ثلاث نقاط بين مركنين [...] للإشارة إلى حذف كلمة واحدة، وخمس نقاط [.....] للإشارة إلى حذف جملة، وسبع نقاط [.....] للإشارة إلى حذف فقرة، ولم يلجأ الباحث إلى الحذف إلا في حالات نادرة، في معظمها لتعذر القراءة الجلية للنص، ووُضعت في المجمل تفاصيل الحذف في الهوامش حفاظًا على القراءة السلسة للنص، من غير أن يؤثر هذا الحذف بأي شكل من الأشكال في المعنى المراد، أو ينتقص من نص كنعان.

= 1984)؛ رشيد أبو غيدا وعدنان بعيون وإلياس سمعان (جمع وتبويب)، **المملكة الأردنية الهاشمية، من هو؟ 1988-1989** (عمّان: المؤلفون، 1989)؛ رشيد أبو غيدا وعدنان بعيون (جمع وتبويب)، **المملكة الأردنية الهاشمية، من هو؟ الإصدار السادس 1992-1993** (عمّان: المؤلفون، 1993)؛ رشيد أبو غيدا وعدنان بعيون (جمع وتبويب)، **المملكة الأردنية الهاشمية، من هو؟ الإصدار الثامن 1994-1995** (عمّان: المؤلفون، 1995)؛ أحمد خليل العقاد (إعداد)، **الشخصيات الفلسطينية حتى عام 1945**، ط 2 (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، 1979)؛ **شخصيات فلسطينية الجزء الثاني** (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، 1982)؛ لجنة إحياء تراث النجاح وتطويره، **التأسيس والمؤسسون 4/ 1918-11/ 1977** (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2012)؛ سعيد عبد الله البيشاوي، **الدكتور أحمد السروري: الطبيب الإنسان والإداري البارع والسياسي وشهادات معاصريه** (رام الله: الرعاة للدراسات والنشر، 2021)؛ رأفت محمد المصري، **نابلس عش العلماء وموطن الأصفياء** (عمّان: دار الفاروق للنشر والتوزيع، 2012)؛ زهير الدبعي، **الدور الوطني الاستراتيجي لبلدية نابلس بعد حرب حزيران** (نابلس: مكتبة بلدية نابلس، 2014)؛ محمد عقل وجواد عثمان مصاروة، **طيبة بني صعب بين الماضي والحاضر: دراسة لقرية الطيبة ومجتمعها** (الطيبة: مركز إحياء التراث العربي، 1989).

وتوحيدًا للغة النص، قرر الباحث إعادة ضبط بعض ألفاظه توحيدًا للغته، فأُعيد ضبط الأعداد إملائيًا ونحويًا، فثُبتت "خمسمئة"، بدلًا من "خمسماية" و"ثلاثمئة" بدلًا من "ثلاثماية"؛ ووُحّدت الأعداد في المتن بإعادة صوغ ما كُتب منها بالرقم وكتابتها بالكلمات، فثُبتت "ثمانية عشر"، بدلًا من "18"؛ وأُعيد صوغ التواريخ وتوحيدها، فثُبتت "6 حزيران/ يونيو 1967"، بدلًا من "6/ 6/ 1967"، أو "6 حزيران سنة 1967"، أو "6/ 6/ 67". كما أُعيد ضبط بعض الألفاظ وتوحيدها، خصوصًا الأسماء العبرية، فوُحّد ضبط "موشيه دايان" و"دافيد فارحي" على هذه الصورة.

ومحاولة لاستقراء بعض ما أضاءت عليه المذكرات، واستكمالًا لما قُدّم في المدخل والتحقيق، خصوصًا الإضاءة على بقية سيرة كنعان ومدينة نابلس خلال فترة رئاسة كنعان للبلدية التي مهدت للمرحلة التي تبعت احتلال حزيران/ يونيو 1967، وكذلك الإضاءة على الفترة الممهدة للحرب وظروف نابلس والمنطقة خلالها، وتقديم مزيد من التفصيل على لحظات الاحتلال الأولى، أُلحق قسم التحقيق بذيل شمل ثلاث دراسات: الأولى "كنعان في المجلس البلدي"، والثانية "احتلال الجبل: نابلس أيام حزيران/ يونيو 1967". ونظرًا إلى حاجة بعض جزئيات المذكرات إلى مزيد من التفصيل، خصوصًا حول دافع نشر المذكرات، خُتم الذيل بدراسة "صراعات التمثيل"، حاول فيها الباحث الإضاءة على الصراعات المختلفة التي عاشها كنعان في المرحلة التي تبعت حزيران/ يونيو 1967 وحتى استقالته، وأثر تلك الصراعات في تدوين هذه المذكرات. وعمد الباحث في نصوص الذيل عمومًا إلى الاشتغال على مصادر أولية مختلفة تُبرز وجهات نظر جُلّ الفاعلين كما سيظهر تفصيلًا.

وأخيرًا، يؤمل أن يعزز هذا النص، بمدخله وبنيته الأساسية وذيله، السرديات العربية المتاحة حول حرب حزيران/ يونيو 1967، وأثر هذه الحرب في الحواضر المحتلة، وأن يشكّل لبِنة أولى في جهد بحثي لكتابة تاريخ مدينة نابلس الحضاري والعمراني والسياسي، وصمود المدينة الذي امتزج فيه استخدام السلاح بالاحتجاج والمقاومة اليومية؛ تاريخًا مؤسسًا على مصادر محلية، تُعلي صوت من أُسكت، وتدفع للتدقيق والنظر في نصوص وسرديات المستعمرين والظلمة.

وفي الختام:

"أي شيء يقتل الإصرار

في شعب مكافح؟!

أي حرب قدرت يومًا على

سرقة أوطان الشعوب؟!

وطني، مهما نسوا

مر عليه ألف فاتح

ثم ذابوا

مثلما..

الثلج..

يذوب!"[163].

(163) توفيق زياد، "قصائد"، **الاتحاد**، 23/ 2/ 1968، ص 4.

هذا الكتاب

تتقاطع فيه سيرة مدينة نابلس مع سيرة رئيس بلديتها حمدي كنعان (1909-1981)، في سردية تؤرخ للمدينة خلال الأيام الأولى لحرب حزيران/يونيو 1967، وما تلاها من شهور حتى آذار/مارس 1969، استنادًا إلى مذكرات وأوراق كنعان التي أبرزت صوت مقاومة الأهالي وممثليهم في مواجهة تمدد المشروع الاستعماري الصهيوني في حزيران/يونيو 1967 منذ بدايته.

يستكمل الكتاب بقية سيرة المدينة وكنعان في دراسة تستنطق "صمت" المذكرات، مؤرِّخة لبعض عمران المدينة واجتماعها، وأعوام من الاشتغال اليومي والإنجاز التراكمي في مرحلة بينية لاحقة لحرب أهل البلاد الكبرى 1947-1949، وسابقة لحرب حزيران/يونيو 1967. كما تؤرخ للطريق إلى الحرب بصوت أهالي نابلس وعيونهم، يرافق ذلك كله إضاءة على صراعات التمثيل للمدينة، بل لعموم الأرض المحتلة. والخلافات الدائرة حول بعض الأفكار السياسية "الجنينية"، وسياقات تشكلها وتداولاتها الأولى، اعتمادًا على قراءة أرشيفية شاملة.

بلال محمد شلش

باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن مشروع بحث القضية الفلسطينية وتوثيقها. مرشح لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية في جامعة بيرزيت، وحائز على درجة الماجستير في التاريخ العربي والإسلامي (2015)، وفي الدراسات الإسرائيلية (2018)، من الجامعة نفسها. يتمحور عمله البحثي حول تاريخ المقاومة الفلسطينية المسلحة على المدى الطويل، مع اهتمام خاص بحرب 1947-1949، والفترة بين عامي 1967 و1970. صدر له في هذا المجال كتابان، هما: كتاب **يافا دمٌ على حجر.. حامية يافا وفعلها العسكري: دراسة ووثائق (كانون الأول/ديسمبر 1947 - نيسان/أبريل 1948)**، في مجلدين (2019)، وكتاب **داخل السور القديم.. نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس**، (2020)؛ وعدة أوراق بحثية محكمة آخرها "هاتف طوارئ: حرب حزيران/يونيو 1967 وآثارها في نابلس في مكاتبات حمدي كنعان وأكرم زعيتر" (2023).

السعر: 26 دولارًا
ISBN 978-614-445-553-1
9 786144 455531
المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies